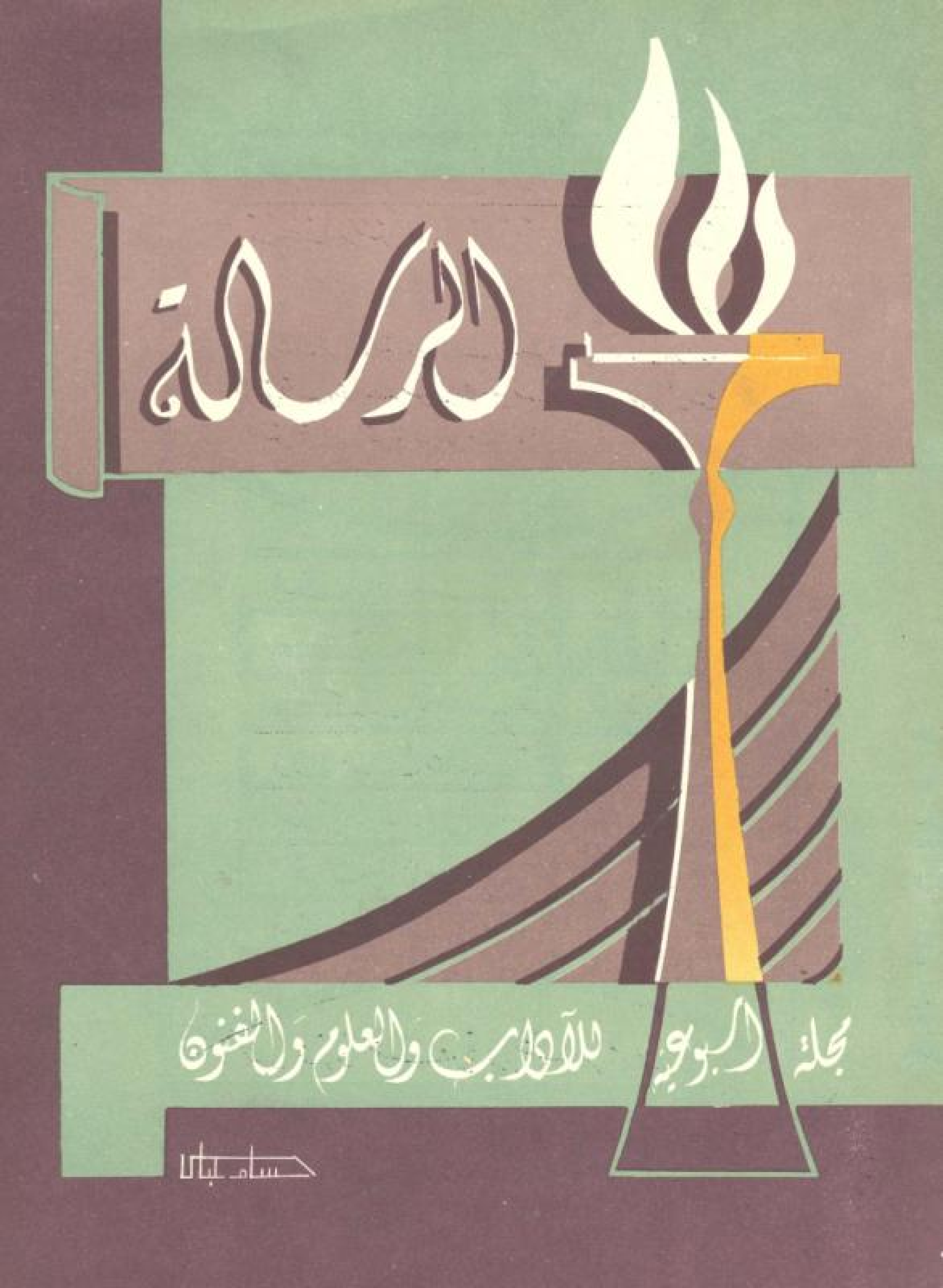

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠ | ٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

العدد ١١٠٩ – الخميس ١٣ من ذي الحجة ١٣٨٤هـ – ١٥ ابريل ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

نظام الأضحية في الأديان

ومظاهر انحطاطه ووحشيته عند اليهود

للدكتور علي عبد الواحد وافي

يدلنا البحث في تاريخ الاديان على أن فكرة التقرب للمعبودات بتقديم الأضاحي والقرابين قد نشأت مع الانسانية ، وظلت ملازمة للتفكير الديني في مختلف مراحله . فلم يخل من هذه الشعيرة دين سماوي أو وضعي ، ولم تعر منها تقاليد شعب متحضر أو بدائي : جاءت في أديان الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئة والمانوية وعبدة الكواكب والحيوان والنبات ، كما جاءت في شرائع اليهود والمسيحيين والمسلمين . ولا أدل على قدمها وعموم انتشارها من الكلام عنها في جميع الأسفار المقدسة القديمة ، ومن أن القرآن يحدثنا عن شكل من أشكالها جرى العمل به في عهد آدم نفسه اذ يقول : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » .

ويظهر أن الضحايا في أقدم أشكالها كانت تقدم من بني الانسان على اختلاف في نوعها وسنها باختلاف الأمم والشرائع ، وتبعا للأحوال المحيطة بالأضحية والأسباب الداعية اليها .

وكان يعتقد قديما أن المتقرب اليهم يستفيدون ماديا من الضحايا والقرابين . فقد ساد الاعتقاد حينئذ أن الآلهة تنتفع في غذائها بلحوم الأضاحي أو بلحوم بعض أعضائها أو بدمائها . ولذلك كان يحرم أكل الناس منها جميعا أو من بعضها ، واعتقد بعض الشعوب التي كانت تقدم الضحايا الانسانية قربانا للآلهة أن المتقرب اليهم يتخذون من هذه الضحايا عبيدا وخدما يسخرونهم في قضاء حاجاتهم . ووصمت بعض الأمم آلهتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر ازهاق الروح ، فكانوا يقدمون اليها الضحايا تهدئة لهذه الميول الدموية واتقاء لشرها وتأمينا على حياة الجماعات .

بيد أن ارتقاء التفكير الانساني ، واصلاح ماعلق به في مراحله الأولى من خطأ في فهم الآلهة وصفاتهم وما يتطلبه رضاهم ، ونزعة المجتمعات الى تنزيه معبوداتها عن القسوة والتشفي وعن الحاجة الى ما يقدمه اليهم بنو الانسان ، وجعلهم أغنياء عن العالمين ، واتساع نطاق المعرفة ، وانتشار الشرائع السماوية والكتب المقدسة ... كل ذلك قد عمل على احترام الحياة الانسانية فقضى على نظام التضحية بالآدميين ، واستبدل بها أشكالا أخرى ، فظهرت حينئذ التضحية ببعض أنواع الحيوان كالابل والبقر والغنم، وبعض أنواع الطيور كالأوز والبط والدجاج، وظهرت أنواع أخرى من القربان لا تقتضي اهراقا للدم كالتقرب بما يستخرج من الحيوانات والتقرب بالنبات كالحنطة وسنابل القمح والدقيق الممزوج بالزيت ، والتقرب بما يصنع من النباتات كالخبز والفطائر ، وتهذب كذلك فهم الناس للغرض من الأضحية ، فأصبحت مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه .. وما الى ذلك .

غير أنه قد بقي في تقاليد بني اسرائيل وشرائعهم

كثير من مظاهر الانحراف والوحشية في فهم الغرض من الأضحية وفي اختيار نوعها وطرائق تقديمها .

فمن ذلك أن كثيرا من فقرات « العهد القديم » نفسه تدل على أنهم كانوا يقدمون أولادهم ضحايا لآلهتهم . فقد ورد في هذه الأسفار أن فرعون لم يسمح لبني اسرائيل بالخروج من مصر . فأنزل الله نقمته على المصريين . فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من الحيوان في سائر بلاد مصر . ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بني اسرائيل وأذنوا لهم بالخروج من مصر . وكان هذا الخروج أكبر حدث في تاريخهم ، وإليه يرجع الفضل في تحريرهم من الاستعباد وفيما أصابوه من عز وسلطان فيما بعد . ولكي يظل بنو اسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم في هذا الحدث فرض عليهم أن يخصصوا للرب أول ما تلده كل أنثى من الانسان والحيوان ، أي أن يقدموه ضحية له . ولكن خفف عنهم فيما يتعلق بأول مولود من الآدميين ، فشرع لهم فداؤه بذبح من الضأن . وشرع لهم كذلك هذا الفداء فيما يتعلق بالحيوانات غير مأكولة اللحم (انظر تفصيل ذلك في فقرات ٢ ، ١١ ـ ١٥ من اصحاح ١٣ من سفر الخروج) ـ واذا لاحظنا أن هذه الأسفار من صنعهم هم ، وليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وأنها تعكس ما كانوا يسيرون عليه في مختلف مراحل حياتهم ، أمكننا أن نستنبط مما ذكر في هذه الفقرات أن نظام التضحية بأول مولود آدمي كان سائدا لديهم في تاريخهم القديم .

ومن ذلك أيضا أن توراتهم المزعومة تنص على أن الضحايا « المحرقة » ، وهي التي تحرق أجزاؤها في المذبح تحت اشراف أحد اللاويين يرتاح لها اله اسرائيل ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية له (الاصحاح العاشر من سفر اللاويين) . ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هي الطريقة المقررة لديهم في معظم أنواع الأضحية والقرابين ، حتى في قرابين النبات وما يصنع منه كالفطائر وما اليها (انظر في ذلك سفر اللاويين ، وبخاصة الاصحاحات الأول والثاني والسادس والسابع والعاشر ـ وقد خصصت معظم اصحاحات هذا السفر لبيان وظائف اللاويين وهم كهنة بني اسرائيل وفقهاؤهم ، وكانوا يتألفون من نسل لاوى أو ليفي أحد أبناء يعقوب ، وقد تخصص منهم بذلك نسل هارون عليه السلام ، وكان أهم وظائفهم الاشراف على المذابح وتقديم الضحايا والقرابين) .

وأشنع من هذا كله وأشده دلالة على وحشيتهم ووحشية عقائدهم ومدى عداوتهم للأجناس الأخرى من بني الانسان على العموم أن أسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بني اسرائيل وتقديمهم قربانا لآلهتهم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية ، وبخاصة عيد الفصح وعيد استير ومراسم ختان الأطفال ، واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم .

أما عيد الفصح « فصح » ، أي الفسح أو الخروج أو المرور) فيقيمه اليهود في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأول من سنتهم الدينية ، وهو شهر نيسان (ويقع ذلك في شهر ابريل) . ويحتفلون فيه بنجاة موسى وبني اسرائيل من فرعون وقومه وخروجهم من مصر (أنظر فقرات ٥ ـ ٩ من اصحاح ٢٣ من سفر اللاويين) .

وأما عيد استير أو البوريم فيقع في شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة ، ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مذبحة تذكر أسفار العهد القديم أنها كانت تتهددهم وأنهم قد نجوا منها بفضل امرأة اسرائيلية تسمى استير . فتروى هذه الأسفار أن استير كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان ، وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود ، فأحبطت استير كيده ، ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره ومكنت اليهود من ذبح عشرات الألوف من بني قومه بما فيهم الأطفال والنساء (انظر سفر استير ، وهو أحد الأسفار التاريخية من أسفار العهد القديم) .

وأما مراسيم ختان الأطفال فهي مراسيم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أطفالهم ، وهو من أهم

شعائر دينهم ، بل انهم يعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودى (انظر مثلا الاصحاح الخامس من سفر التثنية) .

وأما طقوس السحر والشعوذة لدى اليهود فقد أفرد لها التلمود أبوابا كثيرة ، بل لقد اعترفت أسفار العهد القديم نفسها بمزاولة اليهود لها (انظر مثلا اصحاح ٥٧ من سفر أشعياء) .

وتختار ذبائح عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلا ، ويمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه . وتختار ذبائح عيد البوريم أو استير من الشباب البالغين ، ويؤخذ دم الضحية ويجفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر . وأما ضحايا أفراح الختان فيظهر أنها كانت تختار من الأطفال ، وكذلك ضحايا السحر والشعوذة بدليل ما ورد بصددها في سفر أشعياء اذ يقول في اصحاحه السابع والخمسين مخاطبا بنى اسرائيل : « أقبلوا يا بنى الساحرة ... الستم أنتم الذين يذبحون الأطفال في الوديان وتحت شقوق الصخور » ؟! أى لاتمام عمليات السحر التى ورثتموها من آبائكم وأمهاتكم .

ويستنزف اليهود دم ضحاياهم هذه بطرائق كثيرة . فأحيانا يتم ذلك عن طريق ما يسمى « **البرميل الابرى** » وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل ابر حادة توضع فيه الضحية حية ، فتنغرز هذه الابر في جسمها ، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها ، وتظل كذلك في عذاب اليم بطىء حتى تفيض روحها ، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل فى أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر فى نفوسهم من لذة وسرور . وينحدر الدم الى قاع البرميل ، ثم يصب فى اناء معد لجمعه . وأحيانا تذبح الضحية ذبحا كما تذبح الشاة ، ويصفى دمها فى وعاء . وأحيانا تقطع شرايينها فى عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها — وبعد أن تجمع الدماء بطريقة من الطرق السابقة أو غيرها تسلم الى الحاخام أو الكاهن أو الساحر الذى يقوم باستخدامها فى اعداد الفطائر المقدسة أو فى عمليات السحر .

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ أقدم مراحلهم ، ولا ينفكون فى الوقت الحاضر ، يزاولون هذه الجرائم فى كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم .

فقد تعددت جرائمهم هذه فى فرنسا فى القرن الثالث عشر . فألف الملك لويس التاسع محكمة برياسة الملكة بلانش لتحقيق هذه الجرائم ومعاقبة مقترفيها ، وعقدت هذه المحكمة جلستها الأولى فى ٢٤ يونيو سنة ١٢٤٠ ، وقد اعترف اليهود أمام هذه المحكمة بما نسب اليهم وقرروا أنهم فعلوا ذلك امتثالا لوصايا تلمودهم . وعلى الرغم من ذلك فان الحكومة الفرنسية لم تسلك حيالهم مسلكا حازما ، بل اكتفت بأن أحرقت جميع ما عثرت عليه من نسخ التلمود .

وقد عنى الأستاذ أرنولد ليز بجمع أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم فى مختلف بلاد أوربا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر الى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، ودونها فى كتاب نشره سنة ١٩٣٨ تحت عنوان طقوس الاغتيال اليهودية فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة فى كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء ، وحكم فى بعضها بالاعدام على المجرمين ، ونفذ فيهم الحكم .

وقد نقل صديقنا الأستاذ عبد الله التل فى كتابه القيم « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » عن الأستاذ ليز هذه الحوادث بتفاصيلها ، وعلق عليها بأن هذه الجرائم التى عرفت فى التاريخ ووصلت الى المحاكم وجرى فيها تحقيق ليست شيئا مذكورا اذا قيست بالجرائم التى ارتكبها اليهود من هذا القبيل ولم يصل علمها الى أحد أو لم تصل الى المحاكم ، وأن آلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون فى جميع أنحاء العالم هم فى الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية ، ولابد أن تكون دماؤهم قد استقرت فى بطون اليهود مع الفطائر القذرة التى يتناولونها فى أعيادهم .

ومن أشنع هذه الحوادث حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ ، التى راح ضحيتها الأب توما وخادمه ابراهيم عمار . وقد قصها الأستاذ عبد الله التل فى العبارات الآتية :

« الأب فرنسوا أنطوان توما قسيس ايطالى انتقل

الى دمشق للخدمة فى أديرتها . وعمل طوال ٣٣ سنة باخلاص وغيرة وحنان خادما لجميع الطوائف ، لايفرق بين دين ودين ، يعالج المرضى مجانا ، ويطعم الناس ضد الأوبئة . وعرف فى دمشق مثالا للنبل والخلق الكريم . وفى يوم الأربعاء ٢ ذى الحجة ١٢٥٥ الموافق ٥ فبراير ١٨٤٠ ميلادية ، طلب الأب توما لحارة اليهود لتطعيم طفل ضد الجدرى . وفى عودته مر بصديقه اليهودى داود هرارى . فاستدعاه الى داره ، فلبى الدعوة . وكان فى الدار شقيقان لداود هرارى وعمه واثنان من حاخامات اليهود . وثمة انقض هؤلاء جميعا على الأب توما وقيدوه من قدميه ويديه ، ووضعوا منديلا على فمه . وبعد غروب الشمس استدعوا حلاقا يهوديا اسمه سليمان وأمروه بذبح القسيس ، فخاف وتردد . فما كان من داود هرارى صديق الأب توما الا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية . ثم جاء أخوه هارون هرارى وأتم عملية الذبح ، وجمعوا الدم فى وعاء ثم نقلوه الى قارورة كبيرة ، وسلموه الى حاخام باشا يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره ، نظرا لحاجته الى الدم لاستعماله فى فطائر عيد البوريم « استير » الذى كان يقع فى ذلك العام فى ١٤ فبراير . وقطعوا جثة الضحية اربا اربا ، ووضعوها فى أكياس قذفوا بهـا فى مصرف قريب من دارهم . ولم يكتفوا بالقسيس ، بل انتظروا مجىء خادمه ابراهيم عمار للبحث عنه ، فأدخلوه الى منزل اليهودى يحيى ماهر فارحى وذبحوه وأخذو دمه الى الحاخام باشا — وفى أثناء التحقيق قدم جميع المتهمين فى تلك المذبحة اعترافات كاملة مذهلة . وعثرت السلطات على جثتى القسيس وخادمه — وقد نشرت التحقيقات والمحاكمة فى عدة كتب أوربية ، ومازالت محفوظة فى سجلات وزارة العدل بدمشق . ونشرت بالتفصيل فى كتاب للدكتور روهلنج ترجمه الى العربية الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ ميلادية تحت عنوان « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » .

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ، ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودى يوسيفوس (فلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلادية والمتوفى سنة ٩٥) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم ، بل كانوا يأكلون كذلك قطعا من لحومهم . فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان انطونيوس الرابع الذى تبوأ العرش سنة ١٧٤ قبل الميلاد وفتح مدينة أورشليم ، حينما دخل هذه المدينة وجد فى أنحاء الهيكل رجلا يونانيا كان اليهـود قد حبسوه فى هذا المكان ، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتى يوم يخرجون به لاحدى الغابات، فيذبحونه ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده فى الصحراء ، وأن ذلك كان تطبيقا لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها . وانهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام مع واحد من اليونان ، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه .

والديانة المسيحية الحاضرة تقوم على عقيدة الفداء ، أو تضحية الاله بنفسه . وذلك أنهم يعتقدون أن الاله المسيح قد قدم نفسه للصلب ليفدى الآدميين ويكفر بدمه الخطيئة الأزلية وهى الخطيئة التى ارتكبها أبوهم آدم اذ أكل من الشجرة ، والتى انتقل اثمها الى جميع نسله ، وكان سيظل عالقا بهم الى يوم يبعثون لولا هذه التضحية وهذا الفداء .

ويحرص المسيحيون فى الوقت الحاضر على الرمز الى هذه التضحية وهذا **الفـداء** فى بعض أعيادهم واجتماعاتهم الدينية محاكين ما حدث فيما يسمونه العشاء الربانى ، وهو الذى ورد ذكره فى الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى اذ يقول : «وبينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز ، وبعد أن باركها، كسرها وأعطاها لتلاميذه ، وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى . ثم أخذ كأسا « من الخمر » وبعد أن باركها ، أعطاها لهم وقال اشربوا جميعا من هذه الكأس ، فهذا هو دمى دم العهد الذى يسفك من أجل كثيرين لمحو الخطايا » (فقرات ٢٦ — ٢٨ من اصحاح ٢٦ من انجيل متى) . فقد جرى المسيحيون على محاكاة هذا العشاء فى بعض أعيادهم واجتماعاتهم الدينية ، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم . وجرت العادة أن تعد الكنائس خبزا وخمرا . بطقوس خاصة ليتناولهما المصلون . ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد اعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه ، فالخبز أصبح قطعة من جسده ، والخمر أصبح قطرات من دمه . وبذلك يمتزج لحم « **المخلص** » (المسيح) ودمه بلحم من يتناولهما وبدمه . ويدعو تناولهما الى تذكر الرب وتقديم نفسه ضحية لتخليص الانسانية من خطيئتها الأزلية . فكأنهم يأكلون لحم الضحية نفسها ويشربون

دمها ، أي يأكلون لحم الرب نفسه ويشربون دمه ـ وبذلك يصرح القرار الذي صدر عن مجمعي ترنت المنعقدين سنتي ١٥٤٥ و ١٥٦٣ اذ يقول : « قد اعتقدت كنيسة الله دائما بانه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر .. لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو أيضا تحت شكل الخمر وجميع أجزائه . وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بانه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه » .

وقد قضى الاسلام على جميع مظاهر الانحراف في نظم الأضحية وما اتصل بها من عقائد في الشرائع السابقة له . فجعل الأضحية مقصورة على الأنعام مأكولة اللحم ، وجعلها مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله ، وامتثال أوامره ، وشكره على نعمائه التي أسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للاحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين . وقرر أن الله تعالى لا يناله شيء من لحوم الأضاحي ولا من دمائها . وفي هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، وبشر المحسنين » ، وفي هذا رد صريح على ما كان يزعمه اليهود من أن الرب يفيد من هذه الضحايا وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها . ويقول الله تعالى في هدي الحج من الأنعام : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . ويقول : « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » ، والقانع هو السائل والمعتر هو الذي يطيف ولا يسأل « كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » ـ ويقرر الاسلام أن المسيح ابن مريم ليس الا بشرا رسولا أرسله الله الى بني اسرائيل كما أرسل اليهم من قبله كثيرا من الرسل ، وانه لم يقتل ولم يصلب ، وأن اثم المعصية لا يحتمله الا مقترفها فلا تنتقل الى غيره ، وأن آدم قد استغفر ربه من خطيئته فغفرها له . وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: «ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام » ، ويقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، ويقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ويقول : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » . صدق الله العظيم .

دكتور علي عبدالواحد وافي

« عابر السبيل والأعاصير »

للشاعر سعد دعبيس

مهداة الى « عباس محمود العقاد »

وقف الموت خاشعا عند بابه   ورنا للضياء في محرابه
حائرا ، شاردا الرؤى .. يتلقى   بأعاصير صمته وعذابه
عاصف الصمت ، واجما كغريب   ضل في ليله طريق مآبه !
صارخا كالغريق لحظة يأس :   يا الهي أين الطريق لبابه ؟
غارس الفجر .. ما اليه سبيل   كيف أدنو لساحه ورحابه ؟
كلما حاولت يدي منه قربا   شابها الضوء فانثنت عن طلابه
مر في الفجر لامسا بعصاه   ما بناه الردى بنود كتابه
فاذا بالظلام يجفل منه   خائفا ناكصا على أعقابه
انما « عابر السبيل » تهادى   في الأعاصير ساخرا بعذابه !
أغنيات « الأولمب » شاقت رؤاه   ودموع الحنين من أحبابه !
فمضى يعبر الطريق صفاء   « وأبوللو » يسير بين ركابه
وعذارى الأولمب طارت خفافا   ناثرات زهورها في شعابه !
للذي عاد للأولمب ليهدي   « عبقرياته » الى أربابه !
وعلى جانب الطريق جموع   زاحفات على طريق ايابه !
من « أبي بكر الحبيب » هتاف :   مرحبا بالصديق بين صحابه
« وعلي » يقري الضيوف ويهدي   « عمرا » والرفاق حلو شرابه
وقريبا منه مضى « ابن الرومي »   شاردا عن شعوره وصوابه
فاذا بالخلود يسري اليه   وتضيء الحياة ليل ترابه

هتاف الشعر الحديث
بوحدة الدم العربي

للدكتور: أحمد محمد الحوفي

عرضت في مقال سابق طرفا من الشعر الحديث الهاتف بوحدة الجنس العربي ، واليوم أعرض طرفا آخر .

ذكر «الرصافي» الشاعر العراقي ما بين العراق وتونس من أخوة قائمة على وحدة النسب ووحدة اللغة ووحدة الدين في قصيدته التي رحب فيها بمقدم الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي الى بغداد سنة ١٩٢٥ م فقال :

أتونس ان في بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
الى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آيه سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وان قضت السياسة بالبعاد

وأهاب «خير الدين الزركلي» الشاعر السوري بالعرب ، أن يتسلحوا ويجاهدوا أعداءهم ، وذكرهم بأنهم نسل يعرب وعدنان ، وليسوا أهلا لهذا النسب العظيم ان لم يكونوا أعزة كآبائهم . قال في سنة ١٩١٩ :

يا راقدين على الهوان تأهبوا
وتجلببوا الأدراع والأكفانا
هذي بلادكم تباح ودوركم
تجتاح فابغوا غيرها أوطانا
أسليل يعرب طال منك تريث
حتام تلبث لاهيا حيرانا ؟
هلا امتطيت من الجياد عتاقها
وجلوت عنك العار والخذلانا
ان كنت من عدنان فاسلك نهجه
واذا جبنت فلست من عدنانا

وأحزنه أن العرب لا يحققون وحدتهم ، مع أنهم اخوة في الدم ، ومتحدون في اللغة ، على حين أن الامم الاخرى أقامت وحدتها على النسب واللغة :

نزلوا بكل تنوفة وتفرقوا
شيعا وأحزابا على أحزاب
أيام حام الناس في وحداتهم
حول الدم الموروث والأصلاب
أيام قدست اللغات وأصبحت
هي مرجع الأنسال والانساب
أيام ألف كل شعب وحدة
موصولة الأسباب بالأسباب

وحيا الشاعر السوري «محمد البزم» سلطان باشا الأطرش زعيم ثورة الدروز التي كانت وقودا لثورة سورية على فرنسا سنة ١٩٢٥ ، ووصفه بأنه فتى العروبة ، وبأنه ثار على أعداء العروبة ، وعاهده نيابة عن العرب أبناء قحطان على النصرة !

غادر دمشق ويمم دار سلطانا
على السويداء ، لا تحفل بمن مانا
فتى العروبة دفاع الكتيبة قد
أضحت أشاويش وضاحين غرانا
وجل بعترة معروف واخوتهم
تلق الاباة وتلق الأسد فرسانا
يا آل معروف هذي ذمتي ويدي
رهينة الود عن أبناء قحطانا
لما رأيتم عدو العرب يعنتكم
طرتم اليه زرافات ووحدانا

والشاعر السوري «محمد الشريقي» يشيد بشباب الثورة ويصفهم هذا الوصف الرائع ، وهو أنهم ثملوا بكئوس العروبة حتى انتشوا ، فتسابقوا الى الجهاد ، ليعيدوا الحياة والمجد الى أمتهم العربية :

هم الشباب ربيع الدهر رنحهم
من العروبة كأسا ملؤها الشمم

تعهدتهم بآمال مقدسة
لا لذة العيش تغنيها ولا الألم
وعلمتهم بأن الله أرسلهم
ليبعثوا أمة أودى بها العدم

وأرجع الشاعر السوداني « ادريس محمد » تعاطف العرب ، ومؤازرتهم مصر في العدوان الثلاثي الى وحدة مشاعرهم ووحدة أصلهم في قوله :

كل العروبة لما مس اخوتهم
بأس المغير سعوا في نخوة العرب
عروبة وحدة الاحساس تجمعها
كما التقت في اتحاد الأصل والنسب

وقد ذكر الشاعر الليبي « أمين الحافي » هذه القرابة الدموية ، وعبر عنها بالعمومة والخئولة في قصيدة يشكر فيها المصريين أنهم ناصروا ليبيا بأنفسهم وأموالهم في جهادها ضد ايطاليا سنة ١٩١٥ ، ورحبوا بكثير منهم حينما هاجروا الى مصر :

حلوا من الشعب الكريم منازلا
نعم الكرام عمومة وخئولا
ان الكنانة للعروبة مهجر
بعد الجزيرة ان أردت رحيلا

وردد وحدة الاصل الشاعر الليبي « أحمد الفقيه» في المناسبة نفسها اذ قال :

انا بني العرب الكرام لمعشر
تأبى الهوان وللكرامة تغضب
لا تستكين لغاصب يوما ولا
ترضى بحق من حمانا يسلب
ضحت طرابلس وقد أضحى بها
مثل البطولة في البرية يضرب
وطن الى جذم العروبة ينتمي
وطن الى تحريره يتوثب

ودعا الشاعر الجزائري « عبد الكريم العقون » شعبه الى مؤازرة الجامعة العربية ، لان العرب جميعا ينتسبون الى جد أعلى هو يعرب وبنوه فقال :

ويا شعب ول الشرق وجهك واعتبر
بجامعة العرب الموحدة الركب
فأيد مباديها وكن من جنودها
وخض معها الأحداث جنبا الى جنب
وما نحن الا من سلالة يعرب
وعبد مناف جدنا وبنو كعب

ولام الشاعر المهجري « رشيد سليم الخوري » وطنه لبنان على أنه لم يناصر ثورة سورية سنة ١٩٢٥ م ، وعجب من تجاهل اللبنانيين ما يجب عليهم لاخوتهم السوريين وبينهم من الأواصر مابينهم من وحدة الثقافة والتراث والجنس فقال :

لبنان لبنان ما ضرني
لو قلت : يا بلدا بلا سكان
خفضت جبالك شامخات رءوسها
بالعار واندكت الى الأركان
ان كان للدين الدروز تعصبوا
أرنا التعصب أنت للأوطان
أوليس في لبنان عرق نابض
أوليس في لبنان من متفان ؟
أين التراث تراث أبطال الحمى
أين البقية من بني غسان ؟
لا تنكروها فالدم العربي قد
جلت أصالته عن النكران

واذا كان الشاعر قد قسا على بلده لبنان ، فان هذه القسوة دليل على ما يكنه لاخوته السوريين من حب ، وما تقتضيهم الأخوة من نجدة ، ولهذا يتحسر على أن اللبنانيين قد تناسوا بطولة آبائهم العرب ، وتناسوا عظمة الغساسنة ، وتغاضوا عما يربطهم باخوتهم السوريين من قرابة دموية لا سبيل الى انكارها .

وأقسم الشاعر المهجري « الياس فرحات » بالأمة العربية التي ترجع الى أب واحد هو يعرب ، وبالتربة التي تضم رفات البطل خالد بن الوليد أنه لم يمكن للاستعمار في الوطن العربي الا كيد بعض بنيه لبعض فقال :

قسما بأمة يعرب وبتربة
فيها أبو الجمرات يعرب خالد
لولا مكائد بغضنا للبعض لم
تنجح لأعداء الجميع مكائد
هذي الدويلات المبعثرة القوى
عمد يقوم بهن بيت واحد

وهكذا يتردد في الشعر العربي الحديث الجهر بما يربط العرب من صلات القرابة والجنس والدم ، والفخار بهذه القرابة الدموية ، والتداعي الى الألفة والوئام والاتحاد والتعاطف بسببها .

« د . أحمد الحوفي »

من روائع الشعر الأسبانى

ليالى الشتاء الباردة

للشاعرة روساليا كاسترو

ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى

× بلا أب تعرفه جاءت الى الحياة ، وبلا أم واجهت وحيدة مشاكل الوجود الانسانى ، منذ اللحظة الأولى ، داخل لفافة من قماش وجدوها ، فى شارع مهجور من شوارع مدينة « شنت ياقب » ، فى الشمال الغربى لاسبانيا ، فى الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٨٣٧ .

× حملها عابر سبيل فى ليلة غزيرة المطر لافحة البرد الى مستشفى المدينة ، فهز حالها مشاعر الراهب الذى تلقاها ، حتى انه أخطأ فى تسجيل تاريخ ميلادها ، بعد أن عمدها ، أنقصه عاما كاملا ، فكتبه ١٨٣٦ !

× وهكذا عاشت حياتها التى امتدت حتى عام ١٨٨٥ لا تعرف لها أبا ، ولو أنها تزوجت وأنجبت وقد ترك ذلك جرحا عميقا فى مشاعرها ، واحساسا صارخا بالغربة ، أكسب شعرها نغمة حزينة لم تفارقه أبدا ، ولقد أمضت حياتها تفتش ، بلا أمل ، عن شىء غامض تحبه ، وتؤمن بوجوده ، وتطلبه ، لكنها لا تلقاه .

× شعرها مزدوج اللغة ، بعضه بلهجة « غاليسية » نسبة الى المقاطعة التى أمضت فيها جل حياتها ، وهى لهجة رومانسية أقرب الى البرتغالية منها الى الاسبانية ، وجزء منه باللغة الاسبانية نفسها ، الى جانب عدد من القصص الطويل ، والأقاصيص والأساطير .

× لحقها سوء الحظ كشاعرة ، فلم ينتبه اليها النقد الاسبانى فى حياتها ، وكان تقديره لها مترددا فاترا ، اذ كانت تقيم بعيدا عن العاصمة ، ولم تكن تنتمى الى الطبقة العالية ، فى بلد طبقى التكوين ، ومع النهضة الاسبانية المعاصرة احتلت مكانتها الحقيقية ، كأحسن شاعرة فى الأدب الاسبانى بلا استثناء .

الهواء ملتهب الحرارة ،
والثعلب يرتاد الطريق القفر ،
والماء البلورى ، من الجدول الذائب
يعود وخيما .
واشجار الصنوبر تحفظ ساكنة
قبلات النسيم القلب
وهدوء مهيب
يفجر الحقل ،
فلا يسمع غير طنين فراش
فى ظلال الغابات الرطبة الوسيعة ،
رتابة واصرار
كحشرجة الموت الصماء .
كهاجرة نهار صيف
تمر ليلة ، رجل الكفاح فيها متعب ،
اكثر من اى وقت مضى ، لتريه :
من المادة سطوة مرعبة
ومن الروح هموم لا تنتهى .
ارجعى ، يا ليالى الشتاء الباردة ،
عشاقنا القدامى فى ايام خلت !
عودى بثلوجك وقسوتك
لتنعش دما اعاجه
صيف حزين لا يطاق ...
حزين ... طافح باوراق الكروم والاشواك !
برد وحر ، خريف او ربيع
اين ... اين توجد السعادة ؟
جميلة كلها فصول العام



لن يختزن السعادة فى نفسه
اما للروح الوحش اليتيم
فلن يكون اى من الفصول بهجا ولا رقيقا .
فى دقات القلب او فى حفيف الريح ،
فى بريق النجم ، او فى رذاذ المطر ،
فى كل شئ اتخيلك ، وفى كل شئ بحثت عنك ،
دون ان القاك ابدا .
ربما القاك يوما ، القاك وافتقدك ،
مرة اخرى ، مع الحياة فى معركة قاسية ،
لانى ابحث عنك ، واتخيلك فى كل شئ ،
دون ان القاك ابدا .
لكنى اعلم انك توجد ولست حلما ضائعا ،
جمال بلا اسم ، مثال وفريد ،
ولهذا اعيش حزينة لانى ابحث عنك دائما ،
ولا القاك ابدا .
لست ادرى ما الذى ابحث عنه ابدا
فى الأرض ، وفى الهواء ، وفى السماء ،
لست ادرى ما الذى ابحث عنه ، لكنه شئ ما
افتقدته ، لا اعلم متى ، وما وجدته ،
حتى عند ما احلم انه يوجد خفيا
فى كل ما المس ، وكل ما ارى .
ايتها السعادة ، لن اجدك ابدا
فى الأرض ، او فى الهواء ، او فى السماء ،
حتى عندما اومن انك توجدين
ولست حلما ضائعا !

د. الطاهر احمد مكى

بين مؤتمرين

للدكتور ماهر حسن فهمي

من ابرز القضايا التي عولجت في مؤتمر الأدباء الخامس ، المنعقد في بغداد خلال الشهر الماضي ، قضية التراث العربي والاهتمام به في مواجهة الغزو الفكري الاوربي . هذه الحقيقة في ذاتها مظهر من مظاهر استقلال الشخصية العربية ، تلك الشخصية التي برزت بروزا واضحا بعد حرب فلسطين ، فكانت الثورات العسكرية هي التعبير السياسي عنها ، والاتجاه الى الاشتراكية هو التعبير الاجتماعي ، والتمسك هو التعبير السياسي، والعربية المسئولة هي محور الاتجاه الفكري .

ولكن العجيب ان تضيع هذه الحقيقة في مؤتمر روما المنعقد عام ١٩٦١ وان يصور بعض ادباء العرب في ذلك المؤتمر – وعلى راسهم ادونيس القومي السوري – انهيارا كاملا في مقومات الشخصية ، وانحرافا تاما بالحرية المسئولة التي يحملها ، حين يدعو الى تمزيق التراث القومي ، والذوبان في القيم الاوربية لكي نصبح مجددين . وهو قد ناقض نفسه في هذا لانه قد التزم الدعوة للاقليمية الفينيقية وتسمى بادونيس (اله الخصب) ، وهذا يتعارض مع الدعوة للقيم الغربية ولكنه لا يابه لذلك كثيرا ما دام يرضى المستشرقين الذين دعوه ويظهر امامهم حاملا معول الهدامين . وفي ذلك يقول في تلك المحاضرة التي القاها في المؤتمر :

« ان الثقافة العربية في جوهرها ، ثقافة دينية ذات بعد مدني، اي انها نشات في احضان الدين وتحت راية الدولة التي تحميه وتحكم باسمه ، وتاريخ الفكر العربي يرينا الى اي حد كانت السيطرة الدينية قوية وحاسمة على المفكرين والفلاسفة ، مما اضطرهم الى توجيه ما يكتبونه في اتجاه التوفيق بين العقل والدين ، بحيث جاءت الفلسفة العربية الاسلامية بعيدة عن الدين والفلسفة في آن معا ، واقتصر دور الفلاسفة على ان يكون دور وساطة ونقل . هذه الثقافة كما اشرنا ، تعليمية ، لذلك كانت هي ثقافة غير شخصية ، اي انها لا ترتكز على تجربة شخصية ، بل على افكار مجردة . انها طاعة لا حرية ، وتلق لا اكتشاف. من هنا تتضح دلالة البعد المدني في هذه الثقافة ويتضح خطره ايضا لا حرية – هذه هي البداهة الاولى في حياة الشاعر العربي، ليس على صعيد التجربة الشعرية فحسب ، بل ايضا على صعيد التجربة الميتافيزيقية – ومن ثم في الحياة التي يحياها . فاي شاعر عربي يجرؤ ان يضع هذه الثقافة باصولها الدينية والالهية موضع تساؤل أو شك او رفض ، كما فعل نيتشه مثلا ، وغيره في اوربا بالنسبة للمسيحية ، حضارة ودينا ؟ الثقافة العربية والحالة هذه ، عالم منغلق لا معنى فيه للزمان . فالعربي من الناحية الحياتية يتطور وفق حركة لا نهاية لها ، في حين انه مرتبط من الناحية الثقافية بقيم ثابتة يعتبرها صالحة لكل زمان ومكان ، وفي هذا تناقض فاجع يعيشه كل منا » .

واذا كانت الثقافة العربية ثقافة دينية ، فمن المؤكد ان بقية الثقافات العالمية كانت ثقافات دينية ايضا ، كذلك كانت الحضارة اليونانية والشعر اليوناني القديم ، وكذلك كانت الحضارة الرومانية حتى لقد تحول فن التراجم والسير الى الشخصيات المقدسة وحدها . وتلك حقيقة او بديهة يعرفها ادونيس ،ولكنه يريد ان يخلص من ذلك الى اتهام الثقافة العربية بالنقل كما يقول وانعدام الشخصية لقلة السيطرة الدينية . ومن الواضح انه قد نقل هذا الاتهام عن « رينان » حين اتهم الفلاسفة المسلمين بانهم مجرد نقلة للفكرة اليونانية ، وسبق ان رد عليه جمال الدين الافغاني لان فكرته لا ترتكز الى اي اساس علمي .

وما دام الكاتب قد نفى الحرية عن الفكر العربي ، فهو ينفيها عن الفن ايضا ممثلا في الشعر ، وقد تغافل عن كل حركات التجديد والهدم التي عرفها الادب العربي . فكل حركات التجديد المعاصرة في الشعر لها اسسها في الادب العربي . والباحث يجد في الشعر العربي شعراء اعتمدوا على التعقيد كما يقول السيوطي وشعراء اكبر من العروض كما كان يصرح ابو العتاهية ، وشعراء غيرهم هجروا القافية كما يقول الباقلاني في اعجاز القرآن . اما محاولات هدم التراث والدين معا كما يبغي ادونيس فله اساتذة في ذلك من الشعوبيين كابي نواس وغيره .

والفرد العاصر صنيعة اجيال متعاقبة فلا يمكن بتره عن تراثه ليصبح مخلوقا جديدا ، والكاتب لن يقوى على هدم هذا التراث بقلمه المسموم ولكنه يبغى فتح ثغرة بمعوله ينفذ منها الهدامون، ومن اجل ذلك كانت سخريته الواضحة بما نعتبره صالحا لكل زمان ومكان .

وينتقل الكاتب للحديث عن شعر اليوم قائلا : « تستند الحركة الحديثة في الشعر العربي الى التمرد على الذهنية التقليدية ، دون اي نوع من انواع الخضوع للتقليد . فلا يتم التجديد بالعودة الى التقليد او بالتلاؤم مع اشكاله الشعرية . ان في مثل هذه العودة انفصالا عن الحاضر ، وتقييدا للحساسية ، وخيانة للواقع . التقليد ثبات والحياة حركة ، فمن يبقى في التقليد يبقى خارج الحياة . وكما ان الامانة للتقليد نفي للحياة ، فان الامانة لاشكاله واساليبه الشعرية نفي للشعر . وكم يتحتم على هذا التمرد ان يكون جذريا وقاسيا ، اذا تذكرنا ان التقليد في بلادنا ليس مجرد ايمان واقتناع ، وانما هو نظام حياة ونظام فهم للحياة ايضا ... لا يستطيع الشاعر ان يبني مفهوما شعريا جديدا الا اذا عانى اولا في داخله انهيار المفاهيم السابقة ، ولا يستطيع ان يجدد الحياة والفكر اذا لم يكن عانى التجدد ، قصفا من التقليدية ، وانفتحت في اعماقه الشقوق والمهاوي التي تتردد فيها نداءات الحياة الجديدة ، فمن المستحيل الدخول في العالم الآخر ، الكامن وراء العالم الذي تثور عليه ، دون الهبوط في هاوية الفوضى والتصدع والنفي » .

وهكذا تكون الفوضى التي يدعو اليها هي النظام الجديد ، والتصدع هو البناء الذي يهدف اليه ، متصورا ان بامكانه جلب ارض غريبة ليقيم عليها بناءه الجديد المتصدع . وسواء أشرب الشاعر العربي المعاصر من نبع الشعر العربي ام شرب من نبع الشعر الغربي فانه مقلد في كلا العالمين ، لا يرتقي الى عالم الخلق والابداع . ولكن الابداع الحق لابد له ان يكون مبنيا على الاحاطة التامة بتجربة شعرائنا العرب وتجربة غيرهم من شعراء الامم الاخرى ، لانه ان لم يستند الى هذه التجارب ظل نفسه مبتكرا وخالقا وهو في الحقيقة لا يكرر الا تجارب غيره والواهم . ولكنه اكثر احتياجا الى الاطار الثقافي العربي ، والشعري على وجه الخصوص حتى يستقيم اداؤه ويملك ناصية لغته .

ومن العجيب أن يثير ادونيس اهتمامي ببعض المتصفين من

المستشرقين ، مثل الشاعر الانجليزى استيفان سبندر الذى اخذ عليه اهماله المطلق للتراث الشعرى العربى ورماه بالضياع حين انقطع عن اصله ، وبعدم الواقعية والتطرف الشديد فى التحطيم . لم تنبهه الى الشاعر الامريكى ت·س·اليوت والشاعر الانجليزى ماثيو ارنولد ، وكلاهما يعتبر من اكبر شعراء هذا العصر ، وهما فى الوقت نفسه ناقدان اصيلان ، لم يهملا التراث الشعرى القديم ، بل هضماه هضما وابقيا منه على ما هو جدير بالبقاء ثم زادا عليه ، فجاء الشعر عندهما مبنيا على اسس قوية وجذور عميقة .

واعقبه الكاتب الفرنسى رينيه تافرنيه فذكر ، ان ثمة شعراء كبارا مثل فاليرى بالامس واراغون اليوم ما زالوا يتقيدون بالقوافى والاوزان ، كما ان رسل السريالية مثل اندريه بريتون يكتبون بلغة القرن السابع عشر ، وثمة شعراء حديثون مثل فرنسيس بونج يتقيدون بالتقاليد الشعرية ، فهل يمكن القول بان لا علاقة بين بيان سان جون برس او بول كلوديل واستمرار التقاليد الادبية الفرنسية ؟ ليس هناك تقاليد شكلية فقط بل تقاليد جمالية . ولدينا عدد كبير من الشعراء والشباب يتصلون بالحركة الشعرية فى القرن السادس عشر . وهكذا نرى ان الشعر الفرنسى رغم تحرره من القيود الشكلية مازال متصلا بماضيه . وهنا تحضرنى فكرة لاندريه مالرو هى : لا يخلق الشاعر عندما يتامل غياب الشمس بل يصبح شاعرا بعد ان يقرأ « بودلير » وهكذا اظهر المستشرقون جهل ادونيس بالثقافة الغربية التى يدعو اليها ، ولقنوه درسا فى احترام التراث الذى ينبغى ان تقوم على اساسه كل حضارة نامية .

واحب ان انقل هنا نصا من محاضرة القاها الاستاذ عبد الله الجبار فى مؤتمر الادباء الخامس عن الغزو الفكرى فى البلاد العربية ، فهى وثيقة الصلة بموضوعنا ، تكشف عن اصابع الصهيونية العالمية فى محاولات التدمير والهدم التى ينساق اليها بعض الغافلين وتجذبهم شعارات التجديد والانسانية والتحلل . القى الحاخام (ريتشتون) خطبة فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم (سيمون بن يهودا) وقد جاء فيها : اذا كان الذهب هو القوة الاولى فان الصحافة هى القوة الثانية ، فعلينا بواسطة الذهب ان نستولى على الصحافة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية والاخلاق والدين والفضائل . ان علينا ان نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر اهم مقومات الشعوب، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » . وهكذا نرى ان الدعوات التى تحاول هدم القيم باسم التجديد واشاعة الفساد باسم ادب الجنس مهما كان مصدرها ، انما هى دعوات تجاهد الصهيونية العالمية فى تصديرها الى الشرق العربى على الخصوص . ومن هنا كانت محاولة كشف الغزو الفكرى جديرة بالاهتمام والتتبع ، لان الغزو العسكرى اهون شانا ، فهو اوضح واصرح ، اما الغزو الفكرى فيتسلل وئيدا دون ان نشعر به ، ونتبناه بعضنا عن قصد او غفلة دون ان نلتفت اليه . والغزو العسكرى يمكن ان يحمل عصاه ويرحل بعد حين ، ومن اجل ذلك لم يخلف كثير من الغزاة اثرا فى البلاد التى فتحوها ، وكانوا اشبه بموجة لم تلبث ان انحسرت دون ان تترك اثرا ملحوظا ، ولكن الغزو الفكرى اذا ما تشربته العقول وورثته الاجيال يدل نفسياتها واسلوب حياتها وتفكيرها وامتزج امتزاجا شديدا بكيانها واذواقها بحيث يصعب تتبعه او اقتلاعه .

د. ماهر حسن فهمى .

تعالى

للشاعر: حسن توفيق

تعال خذيني ومدي اليدا
لانى حلمت بانى غريق
يضيع ندائى وما من صدى
ويجذب روحى القرار العميق
تعال خذيني لانى غريب
احس كان مناى كسيحه
وان الفراغ بقلبى نحيب
وفيه رماد قفار فسيحه
تعال خذيني لانسى الكدر
وانسى حياتى وانى بشر
لؤرقنى ضربات القدر
وتصفع روحى اكف الضجر

تعال خذيني لدنيا الصفاء
وبثى جمال الوجود بقلبى
وحين يرن الاسى فى الدماء
احيل حنانك لحنا لحبى
تعال خذيني نمس القمر
فقلبى يحن لنسمة نور
وهذا اوان ذبول الشجر
يذكرنى بظلام القبور
تعال خذيني نغن هوانا
ولا تتركينى لوحش الكآبة
يمصمص روحى فامشى مهانا
اذوب وابكى كانى سحابة

التاريخ الاسلامي والمذهب المادي في التفسير

خلافة أبي بكر = استيلاء «الوسط» على الحكم!!

بقلم: فتحي عثمان

(٤)

يشير الأستاذ احمد عباس صالح الى اجتماع المسلمين لاختيار خليفة رسول الله بعد وفاته في سقيفة بني ساعدة ، والى تعدد وجهات النظر حول أجدر المرشحين للخلافة ، فالمهاجرون يرون انهم أحق بالخلافة لسبقهم الى الاسلام والأنصار يرون لأنفسهم هذا الحق لنصرتهم الرسول ، ويزيد الكاتب احتمال شمول المناقشات « أسرة النبي » أيضا .. على أن النزاع حسم ببراعة **ديبلوماسية** من السفير القديم عمر بن الخطاب ، مستغلا رجلا لا يستطيع أحد أن يعترض عليه لقرابته الشديدة من النبي ولسبقه في الاسلام وجهاده الذي صاحب الدعوة من أيامها الاولى وهو أبو بكر الصديق . واختيار أبي بكر الصديق كان اختيارا موفقا أقصى غاية التوفيق ، فهو رجل يرضى عنه اليمين واليسار ولايستطيع أن يجادل فيه الأنصار » (ص ٤٤ ع ٤٦) .

فالمسألة اذن مسألة تكتيك سياسي ، وبراعة دبلوماسية ...

وأبو بكر وعمر يمثلان : (الوسط) في نظر الكاتب ، ويتكون « من هؤلاء الرجال العمليين الذين كان عليهم انقاذ الاسلام بعد وفاة النبي من الصراع الذي يوشك أن يحتدم بين اليسار الذي يفسر الاسلام تفسيرا يحقق العدل الاجتماعي على أوسع نطاق ، واليمين الذي يرى أن الاسلام لم يرم الى الغاء الامتيازات الطبقية ولم يقصد الى تحقيق العدل الاجتماعي على هذا النطاق الواسع » (ص ٤٢ ع ٤٦) فماذا كان موقف (اليمين) و (اليسار) من خلافة أبي بكر الصديق ، ومن استيلاء (الوسط) على الحكم ؟؟

« ... **ان اليسار كان يقدر ابا بكر ، ولكن ليس الى الحد الذي يسلم له قيادة المسلمين** ، خاصة والتطبيقات الاجتماعية للاسلام لم يكن قد شرع فيها بعد .. لقد أنهى الرسول الكريم المبادىء العامة في خطبة الوداع المشهورة ، ولكن تحويل هذه المبادىء الى حقائق عملية وتطبيقات لم يكن قد ظهر الى الوجود . **ولذلك عارض علي بن أبي طالب والمجموعة التي تمثل اليسار من صحابه النبي في البيعة لأبي بكر** . بل ان علي بن أبي طالب اعتبر اجتماع السقيفة في غيبته تآمرا من جانب عمر ابن الخطاب حتى أن الخصام استمر بينهما فترة غير قصيرة ... واستمر علي وصحبه ممتنعين عن البيعة ستة شهور كاملة ! **ان اليمين كله قد رحب بخلافة ابي بكر بما فيه مجلس الشورى الذي لم يظهر كقوة هامة ذات طابع رسمي الا منذ تاريخ البيعة** واستمر بعد ذلك قائما الى أن **صفي المجلس كله ، اما بالوفاة واما بالاعتزال** واما بالقتل في الصراع الذي نشب بين أعضائه على الخلافة ، حتى استولى معاوية على السلطة من علي بن أبي طالب ووصل اليمين المتطرف الى الحكم واختفت نظرية الشورى هذه حتى العصور الحديثة أو عطلت عن العمل تعطيلا تاما . **وترحيب اليمين بهذه الخلافة والاسراع بتاييدها ليس له الا معنى واحد هو ان غالبية المسلمين كانوا مع الاتجاه اليساري الذي يمثله علي واصحابه** ، أعني أن جماهير المسلمين العريضة كانت مع هذا الاتجاه ، لان النبي نفسه كان زعيمه وواضع مبادئه الأساسية ، وأي اتجاه مضاد كان سيقابل بالعنف وكان سيقضى عليه في المهد . **ولذلك جاءت خلافة ابي بكر فرصة ليستجمع فيها اليمين قواه ويرتب للوثوب على الحكم** ، بعد أن قضى النبي الذي لم يجرؤ احد في حياته أن ينحرف بالدعوة الى اتجاه غير اتجاهها . **لهذا وافق اليمين على البيعة لابي بكر** ، بل رحب بها وعمل على نجاحها ، بينما **عارض اليسار وعلى راسه علي بن ابي طالب معارضة صريحة** . وجاءت الحوادث بعد ذلك لتؤجل هذا الصراع الى حين اذ سرعان ما ارتدت القبائل خارج مكة والمدينة عن الاسلام ، وكان على المسلمين بمختلف اتجاهاتهم أن يتجمعوا للقضاء على الفتنة . **وهكذا استفاد الوسط الذي يمثله ابو بكر وعمر ابن الخطاب من الظروف التاريخية المواتية التي**

جعلت أيلولة الحكم اليه ضرورة لا مفر منها ... وكما ان اليمين كان يخشى هذا اليسار ، فان الوسط كان يخشاه أيضا « ص ٤٥ ـ ٦ ع ٤٦) .

ولست أدرى لماذا لم يستول (اليسار) اذن على الحكم ما دام يرى الا « يسلم لأبى بكر قيادة المسلمين ، وما دامت « غالبية المسلمين مع الاتجاه اليسارى الذى يمثله على وأصحابه» ؟ وكيف فوت (اليسار) فترة ستة شهور كاملة وهو متمتع بهذه الغالبية تاركا خلافة أبى بكر « فرصة ليستجمع فيها اليمين قواه ويرتب للوثوب على الحكم » ؟ ... لقد ظن الكاتب انه قد حل الاشكال حين قال فى صفحة تالية « ان اليسار يفتقر دائما للمبادرة ... » (ص ٤٦ ع ٤٦) !!

وكيف تكون «أيلولة الحكم للوسط ضرورة لا مفر منها» نظرا لظروف الردة ، فى حين أن عليا قد امتنع فعلا عن البيعة طيلة شهور ستة ، وكان لليسار الغالبية فى جماهير المسلمين العريضة ؟ .

ولنصدق أن (اليسار) قد اعترض على استيلاء (الوسط) على الحكم لأسباب موضوعية ، لا كما «تلمح كتب السيرة من أن عليا كان يطمع فى الحكم ـ باعتباره أقرب الناس الى النبى وأحقهم بوراثته» وهو أمر يتواتر كثيرا ، ولكن هذه السيرة بل كل ما دون عن الاسلام دون فى عصر متأخر وفى ظل حكم يمينى ، السلطة العليا فيه تورث ، وكان من مصلحة المتربعين على السلطة أن يقضوا على ما عرف بعد ذلك بالفتنة الكبرى حين أسقطت الثورة المسلحة عثمان بن عفان فقتلته ... ويبدو على من هذا رجلا شخصيا يدافع عن طموحه الشخصى ورغباته الشخصية . وهذا الاتجاه الغريب الذى لم يبد فى تصرف على السياسى فى أى مرحلة من المراحل هو نفسه الذى احتضنته الشيعة فأصبحت كتاباتهم تدور حول أحقية على بالخلافة من حيث قرابته للنبى لا من حيث ما يمثله ... » (ص ٤٥ ـ ٤٦ ع ٤٦) ...

• فاذا صدقنا هذا كله كيف نفسر رواية عن موقف أبى سفيان ، تقول انه انكر ان يكون الخليفة من تيم ليس من بنى عبد مناف ولا من بنى قصى ـ وقد نسى الكاتب ذلك حين قال : ان عمر استغل أبا بكر اذ « لا يستطيع احد ان يعترض عليه لقرابته الشديدة من النبى ... ص ٤٤ ع ٤٦ » ! وهل ترى كان ابو سفيان من اليسار أيضا حين أخذته العصبية فقال : لئن شئت لأملأن عليه الأرض خيلا ؟ فأين بنو عبد مناف ؟ ثم حاول أن يغرى عليا والعباس متمثلا بقول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد

• ثم كيف نفسر رواية عن موقف **العباس** ـ وكان ثريا ـ تقول انه قال لابن أخيه أبسط يدك أبايعك ؟ وهل كان العباس أيضا من اليسار الثورى الذين وضحت رؤيتهم للاسلام بسبب تحررهم من أى ملكية أو جذور طبقية تفسد الرؤية الصحيحة أو تعطلها ، (ص ٤٢ ع ٤٦) !!

• ورواية أخرى تقول ان **طلحة والزبير** شاركا العباس وعليا موقفهما وهما « من هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال ... » (ص ٤٤ ع ٤٦) !

• ورواية تقول ان **عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية** قد أبى وأبناؤه العمل لأبى بكر فى تبوك وفدك وما اليهما من الأراضى المتاخمة للشام وقالوا « نحن أبناء بنى احيحة لا تعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا » !

فهل كل هؤلاء كانوا من بين (اليسار الثورى) ؟

• **وسعد بن عبادة** زعيم الخزرج الذى تخلف عن بيعة أبى بكر ... هل كان هو الآخر يساريا ؟ لقد خطب الأنصار فقال « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب . ان محمدا لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل ،وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ... حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لكم دون الناس » ، فتخلف عن بيعة أبى بكر لأنهم كانوا قد عينوه للامارة ، فبقى فى نفسه ما يبقى فى نفوس البشر ، ولكن هو مع هذا لم يعارض ولم يدفع حقا ولا أعان على باطل ... » !

• **والحباب بن المنذر** ـ من الأنصار ـ روى أنه قد اقترح أيضا : « فمنا أمير ومنكم أمير .. » !

ولكن الكاتب لا يأخذ من الروايات الا ما يوافق اللون الذى يرتضيه دون تمحيص منهجى ... فلا يذكر من المعترضين على خلافة أبى بكر الا على بن أبى طالب ، لأنه فى نظره ممثل اليسار !!

واذا كان هناك مدعاة للشك ، نظرا لاصطناع الروايات احتجاجا لمختلف الفرق ، فليكن الشك فى الروايات جميعا ... ونحن نقرأ للدكتور طه حسين مثلا : « والرواة يكثرون فى بعض الحديث

ويختلفون فيما يتكثرون فيه باختلاف نزعاتهم السياسية ... ومهما يكن من شيء فقد قبض النبي ولم يوص لأحد ، لا لأبي بكر ولا لغيره . ولو قد اوصى لأبي بكر لما كانت سقيفة بني ساعدة ، ولما خالف الأنصار عن وصية رسول الله ، ولو قد اوصى لعلي لكان ابو بكر اسرع الناس الى بيعته . **فكيف وقد اجتمع المسلمون من المهاجرين والأنصار على بيعة ابي بكر** الا ماكان من سعد بن عبادة وامتناعه عن البيعة ؟ **وقد بايع علي ابا بكر وعمر من بعده وعثمان من بعدهما** ، ولو علم أن النبي قد أوصى له لجاهد في انفاذ أمر النبي ولآثر الموت على خلاف هذا الامر . والواقع فيما أرجح أن **الرواة قد اسرفوا على انفسهم وعلى الناس بعد انقسام المسلمين فيما أثير من الفتنة بقتل عثمان .** فلم يخلصوا أنفسهم للصدق في الرواية ولم يتحرجوا في أن يصوروا أمر المسلمين اثر وفاة النبي كما كان أمر المسلمين في أيامهم . وأيسر النظر في كتب التاريخ القديمة وفي كتب المتكلمين القدماء يبين لنا أن المسلمين انقسموا بآخرة .... فقد اكثر المتكلمون الجدال في أمر أبي بكر وعلي . فكان البكريون يزعمون أن أبا بكر افضل المسلمين وأحقهم بخلافة النبي ويلتمسون على ذلك الوانا من الحجج يكثر فيها التكلف والتزيد ، وكان المتشيعون لعلي يذهبون مذهب خصمهم فيتكلفون ويتزيدون .. وفضل أبي بكر اظهر من أن يحتاج الى مثل هذا التكلف ، وفضل علي اظهر من أن يحتاج الى التكلف أيضا .. وقصة أخرى ما اراها الا متكلفة أيضا (قصة ابي سفيان في استثارة علي وزجر علي اياه قائلا : طالما بغيت الاسلام شرا فلم تضره) . وانما هي قصة تكلفها المتقربون الى بني العباس بالتشنيع على بني امية كما تكلفوا كثيرا من امثالها ... والذي ارجحه واوشك ان اقطع به هو أن عليا والعباس كانا مشغولين بتجهيز النبي حين بويع لأبي بكر ... وكذلك بدات بيعة أبي بكر وعلي والعباس مشغولان بامر النبي ... ولست اطمئن الى اكثر ما يرويه الرواة من نصوص الحوار الذي كان بين ابي بكر وصاحبيه ـ عمر وأبي عبيدة ـ من جهة ، وبين الانصار أوسهم وخزرجهم من جهة اخرى .. وما ينبغي ان ننسى ان من الرواة من كانوا من الموالي الذين لم تبرأ قلوبهم من الضغن على العرب لأنهم فتحوا بلادهم وازالوا سلطانهم ثم استأثروا من دونهم بالأمر أيام بني أمية ، وإذا كان الكذب قد كثر على رسول الله فأي غرابة في أن يكثر على المؤمنين من أصحابه . والذي استخلصه أنا من قصة السقيفة أيسر جدا مما صوره المؤرخون فقد أشفق الأنصار بعد وفاة النبي من أن يلي المهاجرون من قريش الخلافة فيصير هذا سنة وتستأثر قريش بالأمر ... **والمهم ان ابا بكر وصاحبيه قد اقنعوا الأنصار في يسر ، فلم ينصرفوا عنهم الا وقد بايعوا لأبي بكر ...** والرواة يتحدثون بأن سعد بن عبادة الذي رشحه الأنصار للخلافة أبى أن يبايع لأبي بكر ، ولكن رواة آخرين يتحدثون بانه بايع كما بايع غيره من الناس ، وهذا عندي أدنى للصواب ... وبيعة علي لأبي بكر يختلف فيها الرواة أشد الاختلاف ... وما كان ابو بكر ليخلي بين عمر وبين العنف لعلي اثر وفاة رسول الله وزوجه فاطمة ما زالت حية ، وانما هذا الخبر متكلف أريد به الى اظهار ان عليا لو ترك وشأنه ما بايع أبا بكر ... وما كان علي وبنو هاشم ليفارقوا جماعة المسلمين وليتلبثوا حتى تموت فاطمة ثم يكون اقبالهم على البيعة حين رأوا أن الناس قد انصرفوا عنهم بعد موت فاطمة ... وانما خلط الرواة بين أمرين مختلفين أشد الاختلاف : أحدهما بيعة علي لأبي بكر ، والآخر ما كان من مغاضبة فاطمة لأبي بكر في ميراث النبي ، وكان عليا جفا أبا بكر لهجران فاطمة له ، وهذا لا شأن له بالبيعة **وانما بايع علي حين بايع الناس** في غير سرع ولا اكراه . رأى أن كلمة المهاجرين والأنصار قد اجتمعت على ابي بكر فلم يخالف عما اجمع عليه المسلمون .. **والمهم أن احدا لم يخالف عن ابي بكر ، لا من بني هاشم ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا انما تكلفه المتكلفون بآخرة حين افترق المسلمون شيعا واحزابا .** ولا يستطيع احد أن يقطع بأن عليا كان فيما بينه وبين نفسه يجد على أبي بكر أو على عمر ، لأنهما استأثرا بالخلافة من دونه ، ذلك بانه لم يثبتنا بشيء من ذلك فيما نطمئن اليه من احاديث الرواة . وعلي افضل في نفسه واكرم عند الله من أن يبايع الشيخين بلسانه ويضمر في قلبه غير ما كان يظهر . ونحن نعلم أنه نصح للشيخين أثناء خلافتهما ، وأن عمر خاصة قد استعان به في غير موطن ، واستشاره في كل ما كان يستشير فيه أعلام المهاجرين والانصار .

أما الأستاذ عباس صالح فهو يشك فيما يشاء من الروايات ، ليسقطها وليضيف ما يشاء من احتمالات !!

وحسب الكاتب أن يذكر ما يشاء مسبوقا بكلمة (لعل) .. !!

(للبحث بقية) « فتحي عثمان »

الغزو الفكرى .. ودعاة الفتح

بقلم: محمد جلال كشك

من اجل ان تتفتح فى بلادنا مائة زهرة حقيقية .. لا كتلك الزهور الصناعية التى تلون فى المعامل وتؤمر بالازدهار فتطيع .. او ان تذوى وتذبل فتفعل ! .. بل من اجل مائة زهرة عربية اسلامية .. مائة زهرة فيهما عطر ماضينا ، ورحيق حاضرنا واشراقة مستقبلنا .

من اجل حضارتنا الاسلامية وازدهارها ، نرحب بلقاء الأفكار وصراعها ، شرط أن تكون الكلمة فى مواجهة الكلمة ، وأن تحارب الفكرة بالفكرة وحدها .. بلا تدليس ولا تزييف .

ونحن نلتزم أن نعرض وجهات نظرهم بأفضل مما يقدرون هم عليه ، وان نجمع لهم كل ما يعرف من الحجج ، بل وما نستنبطه لهم .. ثم نرد عليهم .. فنقبل منهم مايتفق مع الحق الذى ندعو له ونؤمن به .. وننبذ ما يثبت بطلانه بالدليل المتعارف عليه .

من أجل هذا نحن نرحب بهذه الهجمات على دعوتنا ، ونفرح بها لأنها تثبت ان المقاومة قد أفزعتهم ، وان ستار الصمت لم يعد يجدى .. وان الوقفة التلقائية التى انطلقت فى مواجهة الغزو الفكرى ، سواء أكان ذلك الغزو غربيا صليبيا ، أو ماركسيا شيوعيا ملحدا .. أقول هذه المقاومة التلقائية قد بثت الرعب فى معسكرهم ، وعلمتهم أن الأمر ليس هينا سهلا كما تصوروا .. وان ما توهموه فريسة أعدت للنهش والبلع .. ليست الا أسدا كاسرا ويل لمن يمد له نابا أو ظفرا .

ولن نقف طويلا عند الدجل والتهويش ، والحديث عن الرجعية والجمود ، والافتراء المتهافت الذى يزعم اننا عندما نرفض الغزو الفكرى ، انما نرفض الاطلاع والعلم بالفكر الأجنبى والتكنولوجيا الغربية أو الحضارة الغربية عموما .. وهم يسودون الصحائف فى اقناعنا (!!) بضرورة معرفة الحضارة الغربية ، وانه لا ضرر من ذلك ، وان العلم الحديث لا يتنافى مع الدين .. الخ .. الخ .

واذا كان شرف الكلمة عندهم ، يبيح لهم أن يسخروا من قرائهم على هذا النحو ، وأن يفندوا مالا وجود له الا فى مخيلتهم .. فانا نقول اننا أكثر منهم حرصا على معرفة أسرار الحضارة الغربية .. واتقان علومها وكل اوجه تفوقها .. فهم يتتلمذون على هذه الحضارة ويطمئنون اليها اطمئنان الصبى لعلمه أو أبيه .. أما نحن فنعاديها ، ونوقن ان بينها وبين حضارتنا الاسلامية صراع بقاء ..

وليس أحرص من العدو المقاتل على معرفة دقائق قوة خصمه وادراك سر تفوقه ، والعلم بنقط ضعفه وهذه أول بديهيات الحرب .

صحيح أننا نهتم بما يكتبون ، ولو انه لا يزيد عن كونه الافراز الصديدى لحضارة الغرب .. الا اننا نحاول جهد طاقتنا ، سائلين الله أن يكون لنا اضعاف أعمارنا ، وان يضاعف عددنا بالملايين .. حتى نستوعب كل أسرار التقدم العلمى عند العدو

لقد جاء الأوروبى فى أعقاب الحرب الصليبية ، وخلالها ، الى الشرق الاسلامى ، معاديا ، مبغضا ، ومتعلما فى نفس الوقت ، ثم عاد بعد أن ألم بكل تفوقنا الحضارى ، وهناك فى أوربا أعاد صياغة ما جمع فى شخصيته الغربية الصليبية .. ثم جاءنا غازيا متفوقا .. وهكذا نحن نبغض الحضارة الغربية بغض الطاعون .. ذلك البغض الذى يجبرنا على معرفة كل تفصيلية عنها .. فبذلك نقهرها ونبنى حضارتنا .

تقول مجلة « **الطليعة** » ان العزف على نغمة الأفكار المستوردة قد عاد .. وان كانت بأصوات خافتة ضعيفة .

الحمد لله ! .. فان كانت هذه الاصوات الخافتة والضعيفة ، قد أجبرت جماعة رؤساء التحرير على ان يتركوا « الانفع واستنقع » كما يقول **السعدنى** واضطروا الى الرد على هذه الاصوات الخافتة .. فماذا تراهم يفعلون عندما يسمعونها كقصف الرعد ؟!

وتقول « الطليعة » ان اعداء الافكار المستورده ، يدعون الى الحكمة والتعقل ٠

وهذا صحيح ٠٠ نقر ونعترف ٠٠ ولا عيب فى الحكمة ولا التعقل الا ان كان الجنون قد أصبح سمة العصر ، ومطلبا يسعى اليه ٠

٠٠ فقط ٠٠ ان مفهومنا عن الحكمة والعقل ، غير ما تستخرجه مجلة « الطليعة » ٠٠ فنحن والحمد لله ندعو لحرب نعرف مداها ، ونعرف ان الغرب الصليبى لايرضى الا بافناء الشرق الاسلامى او استذلاله ٠٠ ونعرف أن العداء هو العلاقة الأبدية بيننا وبين أوربا وامريكا ٠٠ نحن مثلا نقول ان اسرائيل لا تأخذ السلاح من الغرب لمجرد انها عميلة للغرب ٠٠ فقد كان فى العرب من هو أشد ذلة فى عمالته للغرب من اسرائيل ولم يعطهم الغرب سلاحا ٠

ان اسرائيل هى ربيبة الحضارة الغربية ، والعداء بيننا وبين الغرب عداء صليبى ، مهما كان له بيننا من عملاء أو موالين فالكراهية هى هى ٠

نحن ندعو الى مخاصمة الحضارة الغربية كلها ، وبشقيها ٠٠ ولا نؤمن الا بالاعتماد على النفس ، وبالدم والعرق والايمان ٠٠ نؤمن بقدرتنا على انتزاع حق البقاء من العالم ٠

اهذه دعوة للتعقل كما تفسرها الطليعة ؟ ٠٠ أم دعوة لحرب الاصفر والاحمر ٠٠ دعوة لثورة شاملة تغير وجه الدنيا ٠٠ وتحرر ستمائة مليون من المسلمين !

وهل تظن مجلة « الطليعة » ان الجامدين يوجدون حول الاضرحة فقط ؟ ٠٠ لا ٠٠ هؤلاء أمرهم هين٠٠ الجامدون ايضا فى الكافيتريا ٠٠ يسهرون الليل فى الأذكار ، وترديد « الورد » الماركسى واجترار نفايات الثقافة الغربية ٠٠ وليس كل التقاليد بالية ولا كل التراث رجعية ٠٠ ولا كل قادم من الغرب يسر القلب ٠٠ فدعونا من الصفات والنعوت٠٠ ولنناقش الافكار ٠٠ فذلك اجدى من التهويش المسرحى ٠٠ كان تقول تلك المجلة٠٠اننا ندعو الى الجهل والتخلف والاختناق ، والغاء الكم الأكبر من الدراسات الجامعية والابحاث والبعثات العلمية ٠٠ ووقف دعوة الفرق الفنية لعرض فنونها ببلادنا ، وتوزيع الكتب والمجلات الاجنبية فى بلادنا ، وتجميد حركة الترجمة والغاء المعاهدات الثقافية (!!) واتفاقيات تبادل الخبرة المعقودة بيننا وبين البلاد الاخرى » ٠

وفى محاولة متواضعة الذكاء ٠٠ فرقت المجلة بين « الفكر الانسانى عامة والاشتراكى خاصة ٠٠ وبين النظم والاشكال الاجتماعية سواء الاشتراكية أو الشيوعية فى البلاد الاجنبية ٠

وقررت ان الفكر الانسانى عامة والاشتراكى خاصة ليس ملكا لأحد ، بل هو ملك للبشرية كلها ٠٠ ومن ثم فاستيراده مباح بل ضرورى (أحل لكم صيد البر والبحر) أما ما يعيب استيراده ، فهو « النظم الاجتماعية والسياسية كالنظم السوفيتية ، أو اليوغوسلافية او الامريكية مثلا ٠٠ » ثم صب جام غضبه على الذين يستوردون هذه النظم ٠٠ لعنهم الله ورسوله ٠

ولكى تزداد دهشته ٠٠ نحن نخالفه الرأى تماما ٠٠فاعتراضنا الاساسى هو على استيراد الفكر لا النظم! الفكر هو الذى لايجب استيراده (بلغة التجار هذه) ولا ضير أبدا من استيراد نظام سياسى او اقتصادى فمادام فكرنا أصيل فهذا النظام السياسى اما ان يتشكل على النحو الذى يخدم الفكر العربى ، واما ان يتمزق بفعل مقاومة الفكر العربى له ٠

النظم تختلف لان الافكار تختلف ٠٠ و « الطريق المصرى العربى » للاشتراكية متميز عن غيره لان الفكر العربى متميز عن غيره ٠٠ ولا يستقيم قولنا اننا نقيم نظما سياسية مختلفة ، ومن ثم تختلف افكارنا ٠٠ فلو شئنا ان نكسر الحلقة المفرغة ٠٠ لكان علينا ان نبدأ من اختلاف الافكار ٠٠ اما اذا كان السؤال هو ٠٠ ولماذا تختلف الافكار فالاجابة سهلة ٠٠ لان الامم تختلف فى التراث القومى ٠٠ تختلف فى المكونات التاريخية للقيم والمثل ٠

٠٠ لذا فان اكبر خرافة واخبث خدعة هى الزعم بوحدة الفكر الانسانى ، فما اختلف الناس منذ ان انقسموا الى أمم وحضارات الا حول الفكر الانسانى ٠

وكل نزعة للامبراطورية العالمية ، تتدثر دائما بالزعم بوحدة الفكر العالمى وشمولية مبادئها ٠٠ وأمكر الامبراطوريات تلك التى تزعم أن المبادىء واحدة ٠٠ مع حرية الاجتهاد فى التفسير بما يلائم اختلاف الزمان والمكان ٠

ولعل من عبقريات حضارتنا ، وصدقها ، أنها لم تخادع ، ولا ادعت انها تحاول توحيد العالم فى فكرة واحدة ودولة واحدة وعقيدة واحدة ٠٠ بل هى وحدها من بين الحضارات التى تؤمن باستمرار الخلاف الابدى بين الناس ، وامكانية تعايشهم فى نفس الوقت ٠٠ فلو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ٠

أما الزعم بأن مهاجمة الافكار المستوردة ، قد تشمل الاشتراكية .. فذلك تفكير ينبع من فهم خاطيء للاشتراكية ، واصرار على استيرادها .. أما نحن فنرفض الزعم بوحدة الفكر الاشتراكي في العالم ..

واسألو أهل الصين .. وفي نفس الوقت نرى أن الاشتراكية نزعة أصيلة في الخلق العربي والتفكير الاسلامي ، وبديهية من بديهيات حضارتنا .. بل كما قلنا : لا تقوم لنا حضارة الا على المبادىء الاشتراكية .. ونحن نرى أن الرأسمالية لم تكن مرحلة من مراحل التطور على طريقنا العربي ، بل كانت نكسة للقيم العربية والمثل الاسلامية ، عجزت هي عن تشكيلنا ، ورفضنا نحن هضمها .. ثم ولت لتشرق شمس الحضارة الاسلامية من جديد على أنقاض الرأسمالية ..

ودعنا من الطليعة لنسمع ماذا يقول **الدكتور مندور** .. فقد سافر الى بغداد وعاد ينصحنا بأن مانخشاه على حاضرنا ومستقبلنا هو « التخلف الفكرى » لا الغزو الفكرى .. وأخبرنا أن صدره قد ضاق بتلك الصيحات الهيستيرية ضد ما يسمى « بالغزو الفكرى » والدعوة الى التقوقع واقفال النوافذ والأبواب حتى لا تهب علينا أية نسمة أجنبية » .

ولولا أن الدكتور مندور كان هناك لقلت ان أحدهم قد حدثه كما هى العادة دائما .. واشهد أن الدكتور مندور من أشد أنصار « الفتح على البحرى » فهو يرأس تحرير مجلة **الشرق** السوفيتية ، ويكتب فى مجلة « **حوار** » .. وماذا أقول عن حوار .. انها على أرق وصف مجلة غربية الاتجاه معادية للسوفيت !

وقد قرأنا ما قيل فى مؤتمر الادباء حول الغزو الفكرى وليس فيه تقوقع ، وأحسب أن اللجوء للتقول على أعداء الغزو الفكرى يؤكد ضعف حجة خصومهم .. فنحن مثلا لا نفترى عليهم حرفا لأننا نعرف أن منطقهم لا يقوى على مجابهة الحق الذى ندعو له .. فما حاجتنا الى الباطل ؟! .

وينصحنا الدكتور « مندور » أن لا ننسج حياتنا الحاضرة والمستقبلة من خيوط الماضى ، على نحو ما تنسج دودة القز ثم تفنى داخل نسيجها » .

وللعلم .. دودة القز لا تفنى داخل نسيجها .. بل تتحول الى طور جديد أرقى ، ثم تمزق ما نسجت وتنطلق فراشة تبيض وتبعث من جديد .. ولولا نسيجها لفنيت حقا ..

أما الذى يموت .. فهو الذباب تستهويه نعومة نسيج العنكبوت ، ولتفاهته وغفلته ، يظن أنه ملك للحيوانية جمعاء .. ثمرة جهدها المشترك .. فمن حقه أن يستلقى عليه لينعم بطراوته ونعومته .. فيهوى الذباب الى ما نسجت العنكبوت ، ويهوى العنكبوت الى دمها فيمتصه .. ضعف الطالب والمطلوب .. وهو ينصحنا أى الدكتور مندور « بنهب الثقافة الانسانية العالمية ما استطعنا الى ذلك سبيلا »

ونحن لا نؤمن بالنهب والسلب لأن بيت «النتاش مايعلاش » ونؤمن بالمعرفة الواعية الدقيقة للحضارة الغربية بشقيها : الرأسمالى الماركسى ..

كذلك ليس صحيحا أن يقول الدكتور مندور انه من الحمق ان نحاول اعادة قطع الطريق الذى سبقتنا الانسانية الى سلوكه باربعة قرون ، لا مفر ولا بد أن نقطعه بسرعة مضاعفة .. هكذا قالت ثورتنا .. والحق ما قالت ..

أما المقارنة بين الغزو .. والتخلف .. فهو اختيار سىء .. قد تجاوزناه والحمد لله .. لم يعد الاستعمار يعيرنا بتخلفنا ويمن علينا بقشور اصلاحاته .. نحن الآن بين اختيار « فتح » بلادنا للسيطرة الاستعمارية والاجنبية عن طريق الغزو الفكرى ، باعتناق منطق الذبابة وهو الاندماج فى حضارة العنكبوت ولو على حساب وجودها .. وبين منطق الاقوياء ، فنبنى حضارتنا نحن وندعم وجودنا مستعينين بكل تقدم علمى حققه الآخرون ..

ثم من أين استقى الدكتور «مندور» هذه المعلومات التى أفشى بها الى مجلة «**حوار**» والتى قال لها ان « الفلسفة الاشتراكية التى انتشرت فى العالم العربى ، بل الآخذة فى الانتشار فى العالم كله ، تقتضى مخاطبة الشعوب بلغات حياتها أى بلهجاتها العامية » !! »

من أين جاء بهذه المعلومات ، وهل يرضى دعاة الفلسفة الاشتراكية بهذا الاتهام .. ودعنا من الزعم بأن هناك شعوبا عربية لها لغات حياة .. من قال ان الاشتراكية تقتضى مخاطبة الشعوب باللهجات العامية .. ليقل لنا رئيس تحرير مجلة الشرق ، متى خاطبت الاشتراكية فى روسيا الشعب الروسى باللهجة العامية ؟ .. بل الا تدرس الروسية الآن فى كل الجمهوريات حتى التى لم تقرأ ولم تكتب فى حياتها الروسية ! ..

محمد جلال كشك

الشعر العربي في الأرجنتين

على ضريح سُعاد

بقلم : أنس داود

(٣)

لا تزال هناك ورقة ناضرة في ديوان الشعر العربي في الأرجنتين فهو أقل المهاجر الامريكية في عمق الحركة الأدبية به ، وفي توفر الشعراء المبدعين ، فلئن نجد فيه أمثال ايليا أبي ماضي ونسيب عريضة – من شعراء الشمال – أو الشاعر القروي وصاحب عبقر – من شعراء البرازيل ، فقد كانت الحركة الأدبية في نيويورك وفي البرازيل خصبة عميقة تجيش بها التيارات الرائدة ، وتزخر بالجهود الفائقة في ميدان الابداع الشعري والنقدي .. مما يتضح معه فقر المهجر الأرجنتيني في المواهب الكبيرة ، وحرمانه من الشخصية الرائدة التي توجه تيارا أو تخلق منعطفا للشعر أوللنقد الأدبي أمثال الريحاني وجبران ونعيمة في الشمال ، والشاعر القروي والياس فرحات والمعاليف وغيرهم في البرازيل ..

ولوحة الشعر العربي في الأرجنتين تزدحم بالأسماء التي تشير اليها الدراسات التاريخية ، وتعرف بها وبمؤلفاتها ، وفي مقدمة تلك الدراسات الكتاب القيم الذي ألفه الشاعر المهجري جورج صيدح بعنوان « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » ، والكتاب الجامع الذي ألفه الأديب الأردني عيسى الناعوري بعنوان « أدب المهجر » .. ولكن حظ الكثرة من أصحاب هذه الأسماء دون حظ الشعراء الموهوبين ، أو حظ النقاد أصحاب الجهود الضخمة في الحركة الأدبية المعاصرة .

ولنضرب المثل بالشاعر **الياس قنصل** – وهو ناقد ذكي – فقد أصدر مجموعة من الدواوين الشعرية .. هي : « السهام » ، و « العبرات الملتهبة » ، و « على مذبح الوطنية » ، و « الأسلاك الشائكة » ، وبرغم هذا الفيض فالديوان الأول – مثلا – مجموعة من قصائد المناسبات الوطنية ، وهو شعر مناسبات حقا بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من تخصيص قيمته بالحدود الزمنية لتلك المناسبات .. فموضوعاته هي الموضوعات المألوفة التي نظم فيها كبار شعراء المهجر القوميين أمثال الشاعر القروي والياس فرحات، ولكن ثمة اختلاف كبير في الطريقة النظمية التي كتب بها الياس قنصل وفي الفيض العاطفي الذي يجرف القارىء معه فيما كتب القروي مثلا .. القروي في كثير من قصائده القومية شاعر أمة يمتزج بها وتمتزج به ، ويهز أعماقها بقوة الأفكار التي تنطوي عليها قصيدته وعمقها ، أما الياس قنصل فليس أكثر من ناظم يسرع الى المناسبة بمنظومته دون رؤية خاصة أوطريقة جديدة في تناول الحادثة القومية، أوجذور ثورية

تتغلغل في صميم شعره .. كما يتوافر ذلك في شعر القروي الذي ترجع قصائده القومية الى جذور ثورية تمتد الى أبعاد من المعاناة والتأمل .. فالياس قنصل يقول مثلا من قصيدة بعنوان « أيها العرب » :

أيها العرب وحدوا رغبات
كثرت وانهجوا السبيل الركينا
وارفعوا للجهاد برجا منيفا
وضعوا للبناء أسا متينا

ويقول في رثاء الملك فيصل :

صهرت دواعي الفخر حزني بعد أن
راجعت من صفحات مجدك أسطرا
من كان مثلك يا سليل محمد
عد البكاء عليه أمرا منكرا

وهو كما نرى نظم نثري الطابع ، يخلو من تلك الجزالة والفحولة التي نراها في أسلوب الكلاسيكيين، كما يخلو من ذلك الرقيف الحلو ، وتلك الأنغام المتماوجة ، والتأملات العميقة التي يحفل بها أسلوب الابتداعيين .. وهو أولا وأخيرا يخلو من

معاناة الشاعر لتجربة نفسية على مستوى الذات او على مستوى المجموع فيفقد – بذلك – كل أسلحة الشعر ٠٠ فى مجالى التجربة والتعبير ٠٠ وهذا أكثر وضوحا فى دواوينه الأخرى مع تفلت الأخطاء اللغوية والعروضية ٠٠ أما بقية شعراء المهجر الأرجنتينى ، فدون هذا المستوى بكثير باستثناء واحد هو الشاعر زكى قنصل الذى قدمنا له – من قبل – مجموعة قصائده الموسومة بـ « على قارعة الطريق » التى لاتزال رهن الطبع ، ونقدم له اليوم مجموعته الشاجنة « سعاد » ٠

وسعاد هى ابنة الشاعر التى طالما تشوف الى رؤيتها ، ثم تفتحت امام عينيه كالحلم الناضر ، وسرعان ما ذوت بين يديه كما تذوى الزهور ، فتركت لوعة عميقة فى نفس الشاعر تدفقت شعرا حزينا رقيقا فى مجموعة كاملة ٠٠ ولعلها اول مجموعة فى الشعر العربى عن طفلة ، ولعلها اول مرثية مطولة فى شعرنا لطفلة ، ولعلها اول مجموعة فى الشعر العربى باسم طفلة ، وهى بهذا تسبق المجموعة الشعرية العذبة التى قدمها شاعرنا العوضى الوكيل باسم ابنته « شفق » ٠٠

جديدة هذه المجموعة اذن على الشعر العربى فى موضوعها ، وفى اختيار عنوانها ، وجديدة فى تنوع مجالات الغناء بها ، وفى احتفاء الشاعر بالأشياء الصغيرة واللعب العديدة التى كانت تخص فقيدته.. فقد استقبل الشاعر طفلته بلحن مرح بشوش ٠٠ فيه حنان وفيه حب ، وفيه تطلع الى المستقبل ، وأمل حلو عريض :

نامى على أهداب عينى
ان بنابك مرقد

افديك من نوب الزمان
بكل ما ملكت يد

لولاك لم تحل الحياة
ولم يطب لى مورد

نضرت آمالى ، فبش
على طريقى الفدفد

❋ ❋

انى لاقرا فى جبينك
سفر ماضى السعيد

وارى على عينيك
بارقتين من حلمى الشديد

ضحكت لى الدنيا فوا
فرحى بمقدمك السعيد

ولكن الهجير عاجل البرعم الندى فى الشهر الثامن من عمره قاطفا نوره ، واغمض جفينه ، وها هو الشاعر الفجيع يقف على ضريح سعاد وحيدته وفى عينيه هذه الدمعة :

رفت رفيف الاقحوانة وانطوت فى عمرها
ماذا جنت حتى تصيدها الردى فى فجرها
يارب لا تحبس فؤادى لحظة عن ذكرها
انا قد عبدتك بسمة وضاءة فى ثغرها
وشممت أنفاس الجنان شذية فى شعرها
أسعاد جنتك لابشاشة فى العيون ولا بريق
النار ملء جوانحى والشوك فى عرض الطريق
دجت الحياة ، وشاه فى عينى محياها الأنيق
لا الروض زاه بعد زغلولى ولا عودى وريق
ويحى ٠٠ اغرق فى الدموع ، وليس لى أمل الغريق

أما سرير سعاد فقد كان موضع مناجاة طويلة من الشاعر ، وقد راح يسائله :

يا جدولا لا ماء فيه ولا رواء ولا خرير
هل كنت تحلم أن تصير الى الهوان وأن تضير ؟

بيد أن سرير الفقيدة مع احساسه بالهوان لفراقها لم تجف له امنية فى لقائها فترصد والدها يسائله عنها ، وصور الشاعر ذلك الالحاح بصورة موفقة حين قال :

يكاد يسائلنى كلما تلمس ظلى عن خدنه

وكانت أرجوحة الصغيرة المهجورة مثار شجن جديد فوقف الشاعر عليها أنشودة خاصة تفيض باللوعة والمرارة :

ارجوحة الكروان فى صمت الردى
سيان شانك فى الحياة وشانى

لم يبق من تضاحكنا الا صدى
واه كحشرجة العليل الفانى

ان الذى أعطى استرد عطاءه
ياليته استأنى فما أعطانى

واستدرجه التفكير في الذى اعطى ثم استرد عطاءه الى نوع من التمرد على الخالق جل شأنه ، وعلى خفى حكمته ٠٠ نوع من التمرد يعرفه المؤمنون حق الايمان واعمقــه ، ولذلك سرعان ما يفيئون الى نوع من الاستغفار والانابة ، ويتجلى هذا التمرد المنبثق عن نفس مؤمنة ملتاعة في قول زكي قنصل :

ما أبخــل الســاقى تغص بكأسه
وتعــود منــه بحرقة الظمــآن
يارب حلمك ان عثرت بريبة
ذهب القنــوط بنعمة الايمــان
خيبت آمــالى وكم مـن خيبة
ألقى عـلى الراجى من الحـرمان
امن العدالة أن تصـوح روضتى
فى عنفـوان ربيعهـا الفتــان
وتحيل عرسى مأتمــا لا ينتهى
وتمد فى عيد المنى اكفـانى

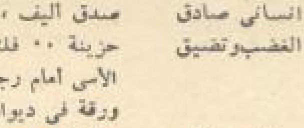
فحيرة الشاعر واضحة بين ضيقه ببلواه ، ورغبته في التنفيس عنها ، ثم ايمانه بوجود الله ، الذى قد يصطدم التنفيس عن كرب النفس الشاعرة ببعض ما يجب نحوه من اجلال خالص ، وتسليم تام ، فالشاعر يعبر عن مكنون غضبه بينما يستجدى رحمة الله وحلمه وغفرانه ٠٠ وهو موقف انسانى صادق تمر به النفوس المؤمنة عندما يحرجها الغضب وتضيق صدورها بنوازل القضاء ٠٠

وليست الارجوحة وحدها من لعب سعاد هى التى تجتذب اهتمام الشاعر وتثير لوعته ، فثمة دمى أخرى كانت تلهو بها الصغيرة ، يقربها الشاعر من نفسه ويندمج معها في لحظة تذكار لصغيرته الفقيدة ٠٠ الى أن يعبق الربيع ، وتتفتح كل الزهور الا زهرة وحيدة نسى الربيع ان يمر برفاتها ٠٠ فيذهب الشــاعر الفجيع الى ضريحها يبلله بالدمع ، ويريق عليه زاخر أشجانه :

تقدس هــذا الـكثيب
يضم رفات الحـبيب
ارطبــه بالدموع
واونســه بالنحيب
سعاد أطـل الربيــع
ولــكن بوجه كئيـب
فأين عروس الزهـور
يضاحـكها العندليب ؟
كلانا غــريب الديار
فهل من لقـاء قريب ؟

وهكذا ٠٠ كان في عذاب الشاعر **زكي قنصل** بفقده طفلته الصغيرة « سعاد » أحد أفراح الابداع الشعرى في الارجنتين ٠٠ فقد وهبت هذه المأساة الشعر العربي ديوانا رقيقا زاخرا بالاغاني الحزينة العذبة ٠٠ وقد نضجت على نار هذه المأســـاة شاعرية صاحبها ، فاعطت عطاء طيبا خالصــا ٠٠ وتفتحت على أبعاد في تلك الحادثة المألوفة ــ فقد انسان لطفلته ــ جعلت منها فاجعة انسانية ٠٠ في صدق اليف ، ولغة بسيطة هامسة ، وصور شفافة حزينة ٠٠ فلئن تندت عيوننا بالدمع أو استشعرنا الأسى أمام رجفة قلب أب شاعر ٠٠ فنحن ازاء أنضر ورقة في ديوان الشعر العربي بالارجنتين ٠٠ تركت مهدها في حمى « بردى » لتنشر اريجها في كل سماء

« انس داود »



كتاب باسم الإسلام يسخر من عقولنا

بقلم: محمد عبد الله السمان

كان من الممكن ان لا اعير مثل هذا الكتاب أدنى اهتمام ، فما أكثر الكتب التى تتطاول ضخامة فى الحجم وتتضاءل تفاهة فى القدر ، وهى فى كلا الحالين لا تستوعب الا غثا ، ولا تتضمن الا زيفا ، ولا تمد العقول الساذجة الا بمزيج من الحمق والهوس ، ولا تصلح للعقول المستنيرة الا مادة للفكاهة والترفيه .

أجل : كان من الممكن ان لا أعير مثل هذا الكتاب أدنى اهتمام ، وأن أستغفر الله من ليلتين كاملتين قضيتهما مع صفحاته التى بلغت ستين وخمسمائة ، لولا أن الذى دفع به الى والى صديقى العالم الأديب الأستاذ على العمارى ، عامل من عمال احدى المطابع ، كان ممن عمل فى طبع الكتاب ،وأثاره ما فيه من هوس لم يحتمله عقله ، وأفزعه ما فيه من شعوذة لم يهضمها فكره ، وأزعجه ما فيه من افتراء على رسول الله لم يطقه دينه ولا ضميره .

الكتاب عنوانه : « **كشف الحجاب ، عمن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب** » للعلامة الأديب ، اللوذعى الأريب ، المشارك فى جملة من الفنون ، سيدى الحاج أحمد بن الحاج العياشى سكيرج ، القاضى بالمغرب الأقصى .

هذه الألقاب كلها ممايحتملها عقل أى عاقل الا كون المؤلف قاضيا بالمغرب الأقصى ، فهو مثار العجب العجاب .

واعجب من هذا ، انى عندما حاولت أن أعرف شيئا عن الشيخ التجانى شيخ الطريقة الصوفية المشهورة باسمه ، والمتوفى عام ١٢٣٠ هـ ، وجدت **الزركلى** فى مؤلفه « الأعلام » يقول عنه : « كان فقيها مالكيا ، عالما بالأصول والفروع ، ملما بالأدب » **وتلاشى** عجبى لأن مرجع الزركلى الأوحد ، كتاب « **جواهر المعانى** » للشيخ على حرازم ، من كبار تلامذة التجانى ، ولهذا الكتاب قصة مضحكة ، ففى كتابنا الذى بين أيدينا ، ان المؤلف تلاقى مع شمهروش الصحابى المعروف ، فهو من جملة التابعين حقيقة لاجتماعه بصحابى ، وانه ألف كتابه باذن خاص من الرسول ، وأن الرسول ــ صلوات الله عليه ــ قال عنه : كتابى هو وأنا ألفته » .

***

ولنعد الى كتابنا « كشف الحجاب » فالمؤلف يورد فى مقدمته على لسان الشيخ التجانى :

« **ان** الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ، وخصصت بعلوم بينى وبينه ــ أى الرسول ــ منه الى مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل ، بلا واسطة » .

قال لى سيد الوجود : « أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك » .

ويعقب المؤلف بقوله : ان بعض أصحاب الشيخ تحاور مع بعض الناس فى قول الشيخ : كل الشيوخ أخذوا عنى فى الغيب ، **ولما** ذكر ذلك للشيخ أجاب مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى : روحى وروحه عليه السلام هكذا ، روحه تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل الى الأبد » .

ويزعم مؤلف الكتاب أن الشيخ التجانى لما رأى شدة محبة النبى له ، تذكر المتعلقين به والمنتسبين اليه بمحبة أو قرابة حسية أو معنوية ، فكتب كتابا وطلب فيه من النبى ضمان مطالب شتى وجعله فى يد رسول الله حين تلاقى معه ، وذلك فى اليقظة لا فى المنام ، فأجابه صلوات الله عليه بضمانها ، أما المطالب ذاتها فيكفى للتعليق عليها أنها ضرب من ضروب الخبل والهوس .

ويقول المؤلف عن الزاوية التي دفن فيها الشيخ التجاني بفاس : « ان من خصائصها أن أرضها لا يدفن فيها أحد ، تطهيرا لها وتعظيما ، وقد شدد الشيخ في ذلك حتى قال : من يدفن في الزاوية تأكله النار — لا محالة ، بوعد صادق من الرسول .

***

ويبدأ المؤلف في الترجمة عن أصحاب الشيخ التجاني ، وعددهم نفس عدد أصحاب الرسول الذي توفي عنهم ، **ويذكر في** مقدمتهم خليفة الشيخ الأكبر **علي حرازم براده** ، كان يقول الشيخ **التجاني** في حقه ، قال لي الرسول : هو منك بمنزلة أبي بكر مني .. وقد خاطبه الرسول مرة بقوله :

« **يا أحمد** — أي التجاني — استوص بخديمك الأكبر وحبيبك الأشهر علي حرازم ، فانه منك بمنزلة هارون من موسى ، فالله أكبر وأجل واعظم ، ولا وصية اوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية والسلام» .

وكتب له الشيخ التجاني بخط يده : « هو مني وانا منه ، ومن عظمه فقد عظمني ، ومن اطاعه فقد اطاعني ، ومن اطاعني فقد أطاع الله ورسوله ، ومن خالفه فقد خالفني ، ومن خالفني فقد خالف الله ورسوله » .

ثم يتحدث المؤلف عن تابع كبير من اتباع الشيخ هو محمد بن العربي التازي الدمراوي ، من اكبر خاصة الخاصة ، كان واسطة بين الشيخ التجاني وبين النبي فيما لا يقدر أن يطلبه منه مشافهة لشدة الحياء ، كما هي عادة أكابر الافراد ، وكان الدمراوي هذا على صغر سنه كثير الاجتماع بالنبي يقظة .

ويذكر المؤلف سر مقتله ،ويزعم أنه لما استوطن عين ماضي ظهرت له مناقب شتى ، حتى صار نساء الوطن كله يتحدثن بها ، ويعيرون رجالهن به ، فحصل من الحسد لبعض أعدائه أن اغروا عليه من يقتله .

واعجب كرامات الشيخ الدمراوي أنه كان السحاب في بعض الأيام اذا احتاج الزرع الى ماء ، يأتي ويمطر زرعه خاصة ، وما حوله لا ينزل عليه .

وهكذا واصل المؤلف الترجمة عن زعماء ثلاثمائة من أتباع أو أصحاب الشيخ التجاني ، ليس فيهم فقيه له أثر في الفقه ، ولا مفسر له مكان في التفسير ، ولا محدث له جهود في الحديث ، فكلهم عاشوا في دنيا الدجل والشعوذة ، ولم يتركوا الا عشرات الألوف من قصص الخوارق المفتعلة ، واحاديث الفيوضات المفتراة ..

هذا والمعروف أن الطريقة التجانية نشأت في المغرب ، وتسللت الى السودان ومعظم بلاد أفريقيا ، **ونحن** اذا تتبعنا صفحات التاريخ لم نعثر لها على خبر الا في عالم الشعوذة ، **اما** الجهاد ضد المستعمر الذي امتص دماء المسلمين في مراكش وتونس والجزائر ، فلم يجد معينا له في مهمته غير أدعياء الطرق الصوفية وفي مقدمتها الطريقة التجانية ، وبينما كانت **جمعية العلماء، وعلى رأسها ابن باديس** التي أسست عام ١٩٢٨ تدعو الى الاصلاح الديني ، والى مكافحة الاستعمار ، والى الحفاظ على تراث الاسلام ، **كانت الطرق الصوفية** تقاوم هذه الحركة الاصلاحية ، وتمد أيديها الى المستعمر الكافر ، يذكر علال الفاسي في كتابه « **حركات الاستقلال في المغرب العربي** » أن الجنرال جوان المقيم الفرنسي بالمغرب ، عمد الى محاولة احياء الطرق الصوفية التي قضت عليها حركة الاصلاح الديني ، فقرب اليه الشيخ عبد الحي الكتاني الذي كانت خيانته الكبيرة لأمته ، وبلاده ودينه من الأسباب الكبرى لفشل الدعوات الطرقية كلها .

ويذكر : ف.و. فرنو في الجزء الأول من كتابه « **يقظة العالم الاسلامي** » ، أن الطريقة التجانية نشأت بالمغرب ، وانتشرت في قلب السودان الغربي حيث اضطرت السلطات الاستعمارية الفرنسية الى ان تطلب معونتها .

***

وبعد .. فالذي أقصده من عرض مثل هذا الكتاب هو أننا لم نزل عاجزين عن وقف طبع الكتب المخرفة التي تسيء الى الاسلام باسم الاسلام ، والتي تمتص قدرا من كميات الورق ، كان أحق به غيرها من الكتب النافعة ..

صحيح أن مثل هذا الكتاب المخرف قد لا يقرأ منه هنا الا أقل القليل ، **ولكن** كيف تسمح القاهرة **بتصدير الدجل والشعوذة والخرافة والافتراء على الاسلام الى أشقاء العروبة والاسلام ، وهي اليوم مركز الاشعاع الفكري ، ومقر الأزهر الشريف ، ومحط أنظار المسلمين في كل مكان ؟ ..**

« **محمد عبد الله السمان** »

الحنين في الشعر الفلسطيني الحديث

بقلم : أحمد الهواري

ربما كان « **الوطن** » بحدوده الجغرافيـة هو الذي يجسد ظاهرة الحنين ، الحنين الى الطفولة التي مضت بأحلامها الجميلة ، وأحلام الصبا ، وكذلك الغربة عن الوطن ، والهجرة تخلق احساسا بالحنين الى الوطن الام ، ولذا يفزع الشاعر الى الطبيعة ليجد فيهـا متنفسا لما يعتمل في صدره من الم الفراق ، ولوعة الذكرى ، ومهجة الحنين والعودة .

ومن هنا اتسم شـعر الحنين بحرارة العاطفة وصدقها ليشف عن جوهر النفس الانسانية ، ويكشف ابعادها ، فضلا عمـا ترتبط به ظاهرة الحنين بما يعايشه الانسان من رؤى وتجارب ، اذ أن الاحساس بالضـياع والغربة في عالمنا المعاصر ، يكشف في مضمونه عن الحنين الى الذات التي أصبح الانسان غريبا عنها .. وبالتالي غريبا عن مجتمعه ، كما أنه خلق احساسا بالحنين الى الماضي ، الى الطفولة .. طفولة الانسانية .. الى الأساطير يحملها مضمونا جديدا .

واذا كان الشاعر الرومانتيكي يشعر بحاجته الى الفرار من بيئته ، فيختار لنفسه بيئة أخرى يحيا فيها بروحه ويحلق فيها بخياله ، ويجد في عالمه المتخيل صورة لما في نفسه ويصور البيئة التي هام بها ، فان هذا التصـوير يأتي « مثاليا » لا يهمه أن يتحرى الواقع بقدر حرصه على تصوير مواطن الجمال التي يحلم بها .

أما الشاعر الفلسطيني ، فليس بحاجة الى خلق هذا العالم المتخيل ، فهو يستمد تعبيره من واقعه الملح ، وهو قد طرد من دياره وشرد تحت كل كوكب ـ كما يقول الشاعر ابو سلمى ـ ومن هنـا كانت المادة التي يستخدمها الشاعر الفلسطيني قد قدت من نار المأساة ، فلا عجب أن جاء هذا النتاج الفني رومانتيكيا في روحه وثورته .

واذا كان الأدب الرومـانتيكي ـ كما يقـول د . **غنيمي هلال** ـ أصـدق ما يوصف به أنه أدب الثورة ، فالثورة هي الموجهة به والمسيطرة عليه ، والرومانتيكيون هم أبناء الثورة ، شبوا في حجرها ، ورويت أفكارهم بدمائها والهب عزائمهم ما أنتجته من صراع بين قوى الشـعب أفرادا وطبقات ، وممثلي الاسـتبداد من الملوك وأنصارهم ، فان الشعر الفلسطيني هو شعر ثوري ، والنكبة هي التي حركت شعورهم وفجرت مواهبهم ، ولذا جاء هذا الشعر ثوريا في روحه ، وسخطه على الملوك والخونة الذين كانت لهم اليد الطولى في نسج نهاية المأساة ، بالضبط كما كان الرومانتيكيون في الغرب يثورون على سلطة الملك ويمجدون مبادىء حقوق الانسان وما جاء في العقد الاجتماعي لروسو .. رومانتيكيا في تعبيره الرمزي وما يقلقه من أحلام وقصص .

وربما أمكننا أن نقـول ان شعر الحنين للوطن العربي « فلسطين » قد مر أولا بمرحلة رومانتيكية خالصة ، يشيع فيها الحزن ، ويسودها السـخط على الملوك والحكام ، كما تلمح فيها القاء تبعة المأساة على هؤلاء الحكام الخونة ، ووصفا للأوضاع السياسية والاجتماعية التي اجتازها البلد العربي ونلمح فيها السخرية ممن يحاولون التخلص من التزاماتهم ازاء القضية بينما هم يتلاعبون بها . ثم تلتهـا مرحلة يمتزج فيها الحنين بوضوح الرؤية وتحديد الهدف والامل والتفاؤل ، ونستطيع ادراك ذلك في تأييد كثير من الشعراء الفلسطينيين لكل اتجاه يهدف الى الوحدة العربية ايمـانا منهم بأن هذا هو السبيل الذي يسهم في تدعيم كفـاحهم لاسـترداد الوطن السليب ، كما أن التغير الكبير الذي يشهده العالم العربي في المجالات التحريرية والايديولوجية ، وما ينجم عنه من وحدة فكرية تجعلنا نتطلع بأمل الى اشراقة يوم جديد على الارض المقدسة .

وقد لاحظ الدكتور « صـالح الأشتر » أن غني

العنصر الانفعالي قدطغى على العنصر الفكري في شعر المأساة ، فبدا هزيلا فقيرا ، ذلك أن شعراء النكبة لم يستطيعوا أن يعكسوا المعنى الايجابي للمأساة القومية الكبرى ، المعنى البناء الذي يحدد الهدف ويرسم الطريق ، كما أنهم لم يعنوا بتزويد الضمير العربي بالسند الجدلي لحق الأمة العربية في فلسطين وبطلان مزاعم الصهيونية فيها ·

ومن المتصور أن الشعر الغنائي انما هو تعبير عن لباب الأشياء وجوهرها ، وعن التجارب الوجدانية الصادقة من خلال الشعور الذاتي الذي يتجلى من خلال الصور التي تكشف عن الخلجات النفسية ، والشاعر الفلسطيني لم يقتصر على مناجاة ذاته ، بل انه من خلال تنفيسه عما احتبس في نفسه من مشاعر اتخذ ، وطنه ، موضوعا يستمد منه مادته ويصبها فيه ويحملها كل ما في نفسه من مرارة وألم وأمل توحي بدورها ايحاء ربما كان أكثر خصوبة من التصريح خاصة في مأساة أضحت حقيقتها أغرب من الخيال ، ثم ان ضحالة العنصر الفكري – ان وجد – عند هؤلاء الشعراء لا تعيبهم ، بل هي من خصائص هذا اللون من الشعر الذي يعتمد على العاطفة الصارخة نظرا لطبيعته ولطبيعة المأساة ذاتها ، كما أن الشاعر الفلسطيني لم يكن لديه الوقت الكافي كي يستبطن ذاته ويصدر عنها في شعر يعبر في مضمونه عن موقف ينبض بالحياة ، ويدعونا أن نقف لحظة ونتأمل المأساة باعتبارها – من الناحية الانسانية – أزمة ضمير ، خاصة أثناء النكبة وفي أعقابها ، وربما توافر ذلك لشعراء العربية غير الفلسطينيين · وليس من مهمة الشاعر أن يأتي بالسند الجدلي في مثل موقف هؤلاء الشعراء ، ولعلها أقرب الى مهمة الساسة ، حسب الشاعر الفلسطيني أن يوحي الى القارىء – بوسائله الفنية من رمز ·· وصورة ·· وقصة شعرية ذات طابع حلمي – بأبعاد المأساة ، أما ماعدا ذلك فالجانب الايجابي – فيما أتصور – يقوم أساسا على استرداد الارض السليبة بالقوة المسلحة، ويكون الشعر هو الطاقة المعنوية للأمة العربية · أليس كذلك ؟

وهذه القضية تثير تساؤلا عن وظيفة الشعر ،وهل هو غاية في نفسه ، أم أن مهمة الشعر هي التأثير في الغير وأن له وظيفة اجتماعية يقصد اليها الشاعر قصدا ؟!

ولا نستطيع في هذا المجال الفصل بترجيح رأي، وانما نقول ان الشعر المعبر عن « وجدان الجماعة » والذي يرصد نبضاتها ، ويتغنى آلامها ، ويعبر عن آمالها من خلال تعبيره عن ذات صاحبه ، لا شك أنه بهذا يعبر عن غاية معينة يستجيب فيها الشاعر لواقعه ·

ان القارىء للشعر الفلسطيني في حاجة الى ادراك طبيعة المأساة وملابساتها وتمثل الموقف الانساني الذي يعيشه هذا الشعب العربي حتى يستطيع أن يزن هذا الشعر بمقاييس لا تغفل الواقع الاجتماعي والتاريخي وان كانت تنصب أساسا على تفهم النص وتحليله واستبطان أسراره الجمالية ·

واذا كان الشاعر الغنائي يفكر ويطيل التفكير لينقل الى الآخرين مشاعره بالطرق الفنية ، دون أن يعبر مباشرة عنها ، فان الشاعر الفلسطيني خاصة، انما يعبر عن مشاعر شعب يحس أفراده بالحنين الى العودة كما يحس هو ، ومن هنا اكتسب تعبيره صفة « الموضوعية » ، ثم ان هؤلاء الشعراء يحاولون أن يستخدموا الرمز أو القصة الشعرية لتحقيق هذه الموضوعية ، وربما كانت هذه الموضوعية التي يضفيها الشاعر على ذاته أكثر اثارة للفكر والشعور من الحجة المنطقية التي تغلب على الجانب الفكري المجرد ·

ومن المفيد أن نورد أمثلة تطبيقية تلقي أبعادا على المأساة وتصور مدى تمثل الشاعر الفلسطيني لموقفه وادراكه له وتعبيره عنه ·

يقول الشاعر « يوسف الخطيب » في قصيدته « العندليب المهاجر » وكان لاجئا في دمشق عندما رأى عندليبا مقبلا من الجنوب ، مهاجرا مثله من فلسطين :

أتراك مثلي يا رفيق تمر في الزمن
عبر المهالك والليالي السود والمحن
لكان في عينيك بعض اللمح من وطني

ومن هذه الصورة الرمزية نستطيع أن نفرق بين الذاتية المباشرة والدلالة الايحائية عن طريق « الصورة الشعرية » ·

وعيسى الناعوري يقول :

كان لي موطن يرف هناء
في ضلوعي ونشوة في وجيبي

لى فى كل خطوة منه ذكرى

وعناق مع الضحى والمغيب

وحديث الى الرمال ونجوى

للأصيل الملون المخضوب

وكان الشاعر يشيع بين جوانحنا عاطفة هادئة ، ينفثها من روحه فتنساب فى حرارة وعمق يغلفهما حزن لذيذ ، وأسى عميق ، ومناجاة ٠٠ للوطن السليب ٠

وهناك شاعر آخر هو « كمال ناصر » ـ يقول فى مقدمة قصيدته « قصة برتقالة » ، « كان الشاعر فى بلد أجنبى عندما وقعت عيناه على برتقالة ، فأحس كأنها تنظر اليه ، وكأنما تعرفه وعندما تعرف اليها وادرك قصتها كانت هذه القصيدة » ، وربما كانت من أروع القصائد التى تعبر عن الحنين الى الوطن فى صورة رمزية ، فقد لجأ الشاعر الى الطبيعة يستمد منها مادته ، واقتطف برتقالة ٠ رمزا للأرض السليب ومضى فى مناجاتها ، وخلع عليها الحياة ، ثم كشفت عن صدرها فاذا هى رمز للمأساة ، واذا هى جرح ينزف دما من أثر جرح الصبا ، وملاعب الطفولة ، من أثر فقد الأهل ، من أثر دماء الشهداء ، واذا بنا نتذكر مدينة « يافا » ٠٠ مدينة البرتقال ٠

وأبو سلمى «عبد الكريم الكرمى» : شعره كما يقول الدكتور ناصر الدين الأسد يقوم على التعبير غير المباشر والتداخل المتجاوب فى نفس شاعرنا بين حبه لفتاته ، وحبه لوطنه ٠ فكل ما يذكره به يذكره بها وكل جمال فيها جمال فيه ، وأيام هواه انما قضاها فى وطنه ومرتع صباه ، ومغانى لهوه ، انما هى بلاده السليب وليالى الوصال انما كانت فى أحضان سفوح وطنه ومروجه وعلى ربواته وبين جناته ، ولذلك لا عجب أن تكون قصيدته الواحدة « لقاء على الطريق » غزلية وطنية معا ، وأن تثور لواعج الحنين فى نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه فى آن واحد :

يسمعك القلب اغنيات هوى

لولاك لم يبق من رمق

يروى لعينيك عند خفقته

تاريخ حبى والدمع والأرق

العمر مثل الربيع فى وطنى

لا تقطعيه بالهجر والحنق

هواك فى ذمتى وفى عنقى

ونلتقى ٠٠ هكذا ٠٠ على الطرق

فالشاعر لا ينسى وطنه ، بل ثمة تجاوب بين الحبين فى وجدانه ٠

أما الشاعر « هارون هاشم رشيد » فقد اتخذناه مثالا يعبر عن المرحلة التالية من شعر الحنين ، ولا شك أن هناك تداخلا لا يمكن الفصل فيه بين المرحلتين ، وانما السمة الغالبة هى التى تحدد هذا التقسيم ، وشعر « هارون » يتميز بالحياة والامل والقوة والدعوة الى الثار والعودة ٠

فهو يقول :

من الكهف والخيمة البالية

ساجمع للثار اشلائيه

ساجمع اهلى واصحابيه

واصرخ من اعماقيه

وارسلها صيحة داويه

وأدعو الى الجولة الثانيه

لقد لاحظنا من خلال الأمثلة السابقة ، أن قصيدة الحنين لا بد أن تتوافر لها عناصر البساطة والصدق فضلا عن عنصر هام هو التخيل الحلمى ، حيث يمحى الشعور بالزمن وبالمسافات ، وحيث يعبر الشعراء فى صفاء عن صورة النفس الانسانية ، وما يعتورها من هموم وما تقاسيه من محن وما تتطلع اليه من آمال ، وهم فى اتخاذهم « الحلم » أداة فنية ، انما يهدفون من ذلك أن يتوصلوا بتجاربهم النفسية الى التحرر من الواقع المادى الذى يعيشون فيه بعيدا عن وطنهم الأم ، واستبطان ما يعانون من رؤى ٠

ان الشعر الفلسطينى قد عبر عن صدى المأساة ووقعها على النفوس العربية ، وان كان الشعراء قد اختلفت أساليبهم فى التعبير بين الرمز ، والقصة الشعرية ، والرومانسية المحمومة ، فان ثمة تيارا نفسيا يسرى فى نسيج هذا الشعر يئن من آلم الغربة ويتشوق ليوم العودة ٠

« احمد الهوارى »

فى ندوة فلسطين

بقلم : محسن عبد الحى

لقاء مع عميد جامعة كراتشى

اذاقلت عن ندوة فلسطين العالمية انها قد نجحت — فهذا تعبير ربما يتسم بالقصور لان الندوة حققت اكثر من نجاح ، بل فاقت درجة نجاحها كل ماكان منتظرا منها وفى مناقشاتى الخاصة مع كل من التقيت بهم من اعضاء ورؤساء الوفود المشتركة فى الندوة — كانت النتيجة دائما انهم استفادوا تماما من حضور هذه الندوة سواء بالاستماع الى الابحاث القيمة التى القيت فيها او بالمناقشات البناءة التى تمت خلال جلساتها — حتى عندما كانت التيارات المذهبية العالمية التى تسيطر دائما على مثل هذه الندوات العالمية تطفو على سطح المناقشات — كان وعى الوفود المشتركة وتحمسها الواعى للقضية يقف حائلا دون انتشار هذه التيارات — ويطالب الجميع فورا بجعل القضية الفلسطينية وحدها مجال البحث والمناقشة — مثال ذلك ماتم بين الوفد السوفيتى وبعض الامريكيين ، او بين الوفد الصينى والوفد الهندى وهلم جرا ..

ولقد كان اسلوب المصارحة غالبا على الجميع لدرجة ان رئيس الوفد الامريكى قال لى انه يأسف فعلا على موقف بلاده — ولكننى وزملائى — كما قال هو — نعد بان ننشر الحقائق التى عرفناها هنا على الرأى العام فى الولايات المتحدة . وبنفس الاسلوب تحدث معى مندوب المانيا الغربية . ولكن الشىء الذى كان يستلفت النظر فعلا — هو ذلك الحماس الرائع المدعم بالوعى الكامل للقضية وحلولها من جانب الوفود الافريقية والآسيوية .. واخص بالذكر منهم مندوب اوغنده وغانا ومندوب الاتحاد العام لطلبة افريقيا الغربية ومندوب نيجريا — ولقد كان مندوب اندونيسيا رائعا حقا فى فهمه القضية وجزئياتها البسيطة منها والمعقدة ..

واذا كنت هنا لست فى مجال تلخيص الندوة او تقييمها — الا اننى لااستطيع ان اخفى اعجابى وتقديرى — بل وتقدير كل الوفود المشتركة فى الندوة لذلك الدور الرائع الذى لعبه الشباب العربى الفلسطينى من المرافقين الوفود — لاننى اعتقد ان المناقشات الفردية العادية التى كانت تتم قبل وبعد انعقاد الجلسات الرسمية للندوة — قد اعطت الندوة اهم واعظم عوامل نجاحها ؛ لقد كان المرافقون والمرافقات على درجة كبيرة من الوعى وحسن الادراك والمعاملة — متفهمين تماما لدورهم الخطير فى شرح جوانب القضية وظروفها — بروح ملؤها الاخلاص والحماس الهادىء الرزين .

اذكر منهم هنا على سبيل المثال لا الحصر الزميل وفيق دجانى — ومرافقة « مستر انتونى ناتنج ومرافقة البروفسير ابو بكر احمد حليم » الخ ..

واذا كنا قد ابحنا لانفسنا هنا ان نذكر بعض الاسماء فلايسعنا الا ان نشيد بذلك الدور الرائع الذى قام به المجاهد العربى الكبير الاستاذ مهدى بن بركة الذى اختير لعضوية مجلس رياسة الندوة — فادى واجبه بحماس المناضل الحركى الذى يعرف كيف يسأل وكيف يجيب — وكان دائما يجيب ويشرح للجميع من خلال ثقافة واسعة وتمكن لاحد له باللغة العربية والفرنسية .. والذى سوف نلتقى به هنا قريبا على هذه الصفحات ..

ولنبدأ الآن فى عرض المقابلة التى تمت بينى وبين « البروفسير ابوبكر احمد حليم » عميد جامعة كراتشى — الذى يعمل فى نفس الوقت مساعدا لرئيس مجلس الشورى الرئيس الباكستانى محمد ايوب خان ..

وسألت البروفسير ابو بكر بعد الترحيب به السؤال التالى .. بروفسير ابو بكر ..



هل نستطيع ان نعرف الى اى مدى وصلت درجة الوعى بقضايا العرب القومية بين القطاعات المختلفة الشعب الباكستاني ـ وخاصة القضية الفلسطينية ؟

فرد بقوله : اود ان اوضح أولا اننا نهتم كثيرا بكل ما يدور فى البلاد العربية ، وشعب باكستان على علم تام بالقضايا والمشاكل التى تواجه العالم العربى.. ونحن فى الباكستان نشعر بالأسى والألم عندما نقرا عن الخلافات القائمة بين بعض البلاد لاننا نعتقد بضرورة قيام الوحدة بين العرب ـ لكى يستطيعوا مواجهة العدو المشترك «اسرائيل» وانا لاأريد ان انصح بكيفية قيام الوحدة ، سواء أكانت وحدة او اتحاد فيدرالى او اى شكل من اشكال الوحدة او الاتحاد ولكن المهم فى رأيى ان يتم ذلك فورا وبدون تأخير .

ويعتبر الباكستانيون قضية فلسطين ـ **قضية اسلامية ـ الى جانب كونها قضية عربية ـ وعالمية** واود ان اشرح الجانب الاسلامى فى القضية كما نفهمه فى باكستان ..

ان القدس هى قبلتنا الاولى ، حيث اعتاد المسلمون فى البداية ان يتجهوا اليها فى صلاتهم ـ وقد اصبحت الكعبة بعد ذلك هى القبلة ـ وقد ظهرت معجزة المعراج مقترنة بالمسجد الاقصى ـ مما يجعله مسجدا مقدسا بالنسبة لنا ، بالاضافة الى ذلك فان اسرائيل تدعى ملكية خيبر فى الحجاز وهى ارض اسلامية .. ولهذا فاننا فى الباكستان ننظر الى القضية الفلسطينية كقضية اسلامية ، والى اسرائيل كخنجر موجه الى قلب العالم الاسلامى .

واضاف البروفسير ابو بكر قائلا :

اننا لم نعترف باسرائيل ولن نعترف بها ، ورفضنا كثيرا من المؤتمرات الدولية ومنعنا عقدها فى الباكستان لكى نمنع دخول المندوبين الاسرائيليين الى بلادنا بحجة الاشتراك فى مثل هذه المؤتمرات .

«ان جواز سفرى يتيح لى ان ازور جميع دول العالم ما عدا اسرائيل كما هو مكتوب فيه ..

وبعد ذلك قلت البروفسير ابو بكر ..

ـ لقد حرفت اسرائيل ومازالت تحرف القرآن الكريم وتقوم من جانبها بتوزيع النسخ المحرفة فى

آسيا وافريقيا .. فهل هناك احساس بهذه الجرائم بين مسلمي باكستان ؟ وهل هناك خطوات من جانب القادة الاسلاميين في الباكستان لمقاومة هذا الخطر .. ؟

فرد بقوله ..

لقد قرأنا في الباكستان عن هذا العمل المشين من جانب اسرائيل في تزوير بعض سور وآيات من القرآن الكريم .. ولا يوجد في الباكستان اي سور مزورة من القرآن بل توجد لدينا طبعات جميلة من القرآن طبعت في مطابع باكستانية .. وهذا العمل الجنوني من جانب اسرائيل مصيره الفشل وعندنا مئات بل آلاف من المقرئين للقرآن واعتقد انه اذا وجدت آية نسخ محرفة تكون في اغلب الاحيان مهربة فاننا نكشفها فورا .. وسوف نقاوم في المستقبل بكل اخلاص وايمان مثل هذه الاعمال التخريبية للعقيدة الاسلامية .

ثم سألته ..

ماهي الخطوات الملائمة التي تراها سيادتكم لخلق نوع من التقارب الذي يمكن ان يتطور في المستقبل الى تضامن حقيقي بين شعوب العالم الاسلامي ؟

فقال «يجب ان نحاول انشاء علاقات اخوية بين البلاد الاسلامية في ظل ظروف افضل وهذه العلاقات الأخوية يجب ان تبدأ اولا باقامة العلاقات الثقافية والتعليمية وتدعيمها ثم توطيد العلاقات التجارية وفي كل الاوقات وتحت مختلف الظروف يجب ان نضع نصب اعيننا جعل الدول الاسلامية دول متعاونة مشتركة في الأهداف والنظم السياسية

وسألته بعد ذلك ..

ان مجلة الرسالة - مجلة اسبوعية تحصر اهتمامها في نطاق العالم العربي والاسلامي - فهل نطمع في القاء بعض الاضواء على حالة اشقائنا مسلمي باكستان واتجاهاتهم الفكرية ؟

فأجاب بلباقة ..

«انني سعيد جدا لمناقشة القضايا العربية والاسلامية وقد خلقت باكستان الاتجاهات الفكرية الاسلامية وتعلقت بها والشعب في باكستان يتطلع الى اليوم الذي يستطيع فيه ان يضع فكرة اقامة مجتمع اسلامي متطور - موضع التنفيذ» .

ولما رجعنا في مناقشتنا الى القضية الفلسطينية مرة اخرى .. اخذ البروفسير ابو بكر يشرح لي كيف بلغت العنصرية الصهيونية من القسوة والعنف الى الدرجة التي تمارس بها وضعها الاستعماري العدواني في قلب الامة العربية .. وقال .. انني بطبيعتي رجل سلام واكره العنف - ولكنني ازاء هذا الوضع العدواني لاسرائيل ادعو الى الحرب والحرب فقط هي التي تحل القضية في رأيي «لأن اسرائيل كالطفل الصغير - كلما ينمو فهو في حاجة الى ان يصنع لنفسه ملابس جديدة تناسبه .. وهذه الملابس الجديدة التي تناسب العدو الاسرائيلي الغاصب - هي ارض العرب في المستقبل - وذلك كنتيجة طبيعية لهجرة اليهود الغاصبين من جميع انحاء العالم الى اسرائيل . ولن يقف هذا الزحف اليهودي الى اراضينا المقدسة الا وحدة العرب وتآزرهم لتصفية الكيان العدواني الاسرائيلي ..

وتأكدوا انه عندما تحين اللحظة الحاسمة فستجدون الآلاف من الباكستانيين يحاربون الى جانبكم .

وهكذا كانت ندوة فلسطين العالمية مجالا واسعا للقاءات كثيرة ومتعددة - وامثل هذه اللقاءات والمناقشات الكثير من وجهات النظر التي قد تبدو مختلفة الى حد ما في بعض القضايا السياسية والارتباطات الدولية - الا انها كانت تتفق في رأي واحد هو ضرورة عودة اللاجئين الى ديارهم ، وضرورة القضاء على اسرائيل - كقاعدة استعمارية عدوانية تهدد العالم العربي وتهدد السلام العالمي .

والى لقاء آخر مع ندوة فلسطين العالمية ،

«الحسين عبد الحي»

إقبال (ر)

شاعرٌ مسلم وفيلسوفٌ مصلح

(بمناسبة ذكراه)

بقلم: عبد المنعم السكري

عاش اقبال فى دولة تعددت دياناتها وعقائدها والغالبية فيها تدين بالبرهمية او البوذية او الهندوكية ، وكان العالم مضطربا تتنازعه الانقسامات والاستعمار يجثو على العالم الاسلامى والمادية الملحدة تنشر مبادئها ، « وعاث الاوربيون فى الارض وافسدوا فيها بعد اصلاحها ، وخربوا العالم وملأوه ظلما وظلمات ، وشرورا وويلات وليست هذه الارض الا بيتا من بيوت الله جعلها مسجدا وطهورا واذن ترفع ويذكر فيها اسمه . ولكن الاوربيين قد حولوه الى خمارة وبيت فسق ودعارة ومكان نهب وغاره . وقد آن لبانى البيت الحرام ، وحامل رسالة الاسلام أن يقوم ويصلح ما أفسده الأوربيون » .

والتصوف الفارسى قد شاع تأثيره فى الناس فدعاهم الى الكسل وترك العمل .

فى هذه البيئة ولد اقبال . ولكن ابويه كانا صالحين ، فنشأة تنشئة دينية ، ورباه تربية صالحة ، فنشأ مطبوعا على حب الخير عارفا بالاسلام ، رافعا رايته ، مدافعا عنه ، داعيا الى السير فى ظله ، محذرا من اعدائه الذين فرقوا بين اهله فحل بهم الضعف بعد القوة وهو يقول معاتبا العرب «اسفا على الخمود والجمود ، ايها العرب، الا ترون الى الامم الاخرى ، كيف تقدمت وسبقت ؟ اما انتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التى نشأتم فيها ، وهذه الحرية التى ورثتموها ؛ كنتم امة واحدة ، امة الاسلام ، فصرتم اليوم امماء وكنتم حزبا واحدا ، حزب الله فأصبحتم احزابا لقد فرقتم جمعكم ، ومزقتم شملكم » .

اتم اقبال دراسته بمعاهد الهند ، وتعلم على اساتذة قدروه واحبوه ، بل اختاره استاذه توماس آرنولد ليحل محله بالجامعة فترة غيابه عنها . وارتحل اقبال الى اوربا فالتحق بجامعاتها :كمبردج وميونخ ، ودرس القانون والفلسفة فتفتحت امامه آفاق من التفكير ، ولم تبهره حضارة الغرب ولا فلسفته ، فطلع على العالم الاسلامى بفلسفة جديدة هزت المشاعر والقلوب تدعو الى عالم جديد دعامته الاخاء الانسانى و «الاخوة التى دعا اليها الاسلام ، على ان تكون اخوة بين احرار ، وان القوة هى التى تجعل لهذه الاخوة قيمة ، وهى التى تقر السلام بين المؤمنين بالذاتية كما يصورها . اما ان تكون اخوة بين احرار وعبيد فاسطورة- اثبت التاريخ غير مرة انها لن تصدق فى الواقع ابدا» .

عاد اقبال الى الهند بعد ان اتم دراسته وزار كثيرا من البلاد الاسلامية وشاهد آثار المسلمين فى قرطبة ، وصقلية وبيت المقدس وغيرها فاخذ يذكر المسلمين بمجدهم وقوتهم وفتوحاتهم والدماء التى بذلها اجدادهم فى اقامة حضارة الاسلام ويبدو هذا فى قصيدته «الشكوى» حيث يقول :

بمعابد الافرنج كان اذاننا
قبل الكتائب يفتح الامصارا
لم تنس افريقيا ولا صحراؤها
سجداتنا والارض تقذف نارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة
خضراء تنبت حولنا الازهارا

عاد اقبال يوقظ قومه ، ويناقح المستعمر ، ويكافح اعداء الاسلام .

ودعا قومه الى ترك الكسل ، وبث فيهم روح العمل . وشن حربا لا هوادة فيها على تصوف العجم ، ونادى بفلسفة جديدة على خلاف ما تعارف عليه قومه . دعا الى تربية الذات بالطاعة وضبط النفس والتخلى عن المعاصى ، وتأدية الفرائض ليصل الانسان الى مرتبة الكمال . والامة التى يربى كل فرد فيها ذاته تكمل ذاتيتها وتقوى على الجهاد والكفاح ، يخشاها العدو ويخطب ودها الصديق . يقول اقبال : « اذا أحسن المؤمن تربية شخصيته وعرف قيمة نفسه ، لم يقع فى العالم الا مايرضاه ويحبه» ويقول : «ان المؤمن اذا نادى الآفاق بأذانه ، اشرق العالم واستيقظ الكون» .

لم يقصر اقبال رسالته على ابناء الهند ، بل



محمد اقبال

وجهها الى المسلمين فى كل مكان ويرى ان العالم كله وطن للمسلم «ان المسلم كالشمس اذا غربت فى جهة طلعت فى جهة اخرى» و «المسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى – ليس وطنى دهلى ولا اصفهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله» .

فهم اقبال الاسلام على حقيقته ، وتبدو فلسفته التى تقوم اساس بعث الفكر الاسلامى الاصيل فى كتابه «تجديد التفكير الدينى فى الاسلام» يكشف فيه الفرق الشاسع بين تعاليم الفلسفة الغربية وتعاليم الاسلام حيث يقول «ان الانسانية لفى حاجة اليوم الى ثلاثة امور : اولها تفسير روحى لحقيقة العلم ، وثانيها تحرير روحى لذات الفرد وثالثها ايجاد نظام من المبادىء العالمية توجه تطور المجتمع الانسانى على صعيد روحى . ان فلسفة اوربا المثالية لم تصبح يوما عاملا فعالا فى حياتها العملية فاسفرت عن ذاتية منحرفة ، تحاول تحقيق نفسها عن طريق ديمقراطيات متنافرة متباغضة ... صدقونى ان اوربا اليوم لهى اكبر عقبة فى سبيل التقدم الاخلاقى فى حياة الانسان» .

ان الحياة عند اقبال جهاد متصل ، فالاسلام لايدعو الى الاستسلام والمؤمن الحق هو القوى الذى يكابد الحياة ويحتمل اعباءه ولا يخاف الموت :

جهاد المؤمنين لهم حياة
الا ان الحياة هى الجهاد

عقائدهم سواعد ناطقات
وبالاعمال يثبت الاعتقاد

وخوف الموت للاحياء قبر
وخوف الله للاحرار زاد

ان صوت اقبال يدوى فى كل وقت وآن يحض المسلمين على العمل والكفاح حتى يوجد المجتمع الذى يريده ، مجتمع الاخوة الاسلامية الذى لايحده مكان «ان المسلم لاتعرف ارضه الحدود ، ولايعرف افقه الثغور . ليست دجلة والنيل والدانوب الا امواجا صغيرة فى بحره المتلاطم . عصوره عجيبة ، واخباره غريبة . نسخ العهد العتيق ، وغير مجرى التاريخ . هو فى كل عصر ساقى اهل الذوق ، وفى كل مكان فارس ميدان الشوق . شرابه رحيق دائما وسيفه ماض فى كل معركة» .

ويقول للمسلم فى احدى قصائده .

فى العالم الأول من
مطالع الأنوار كنت
والناطق الاخير فى
رسالة الرحمن انت
قم وانشر التوحيد فى
الدنيا ووحد الأمم
فانت خير من دعا
وانت خير من حكم

نكتب هذه السطور فى ذكرى اقبال وفاء له فقد كان لنا وفيا ، وتذكيرا برسالته ، فكان برسالة الاسلام حفيا ، واعترافا بفضله ، لانه كان بفضل العرب والمسلمين ذاكرا ومن الوفاء ان نذكر للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام فضله ، فقد عرفنا باقبال منذ اكثر من ربع قرن نقل لنا خلالها كثيرا من دواوينه وآثاره . ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أن نشير الى الجهود المشكورة التى بذلها الأساتذة : أبو الحسن الندوى . محمد حسن الأعظمى . الشيخ الصاوى شعلان . فى التعريف باقبال وترجمة بعض آثاره . جزاهم الله وجزى كل من شارك فى هذا العمل خير الجزاء . رحم الله اقبالا ورحم الله عزاما واسكنهما فسيح جناته . وأثابهما على ما أسديا للاسلام والمسلمين والانسانية كلها .

«عبد المنعم الدكرمى»

نداء القوة فى الاسلام

الى روح اقبال «شاعر القوة فى الاسلام»

للشاعر : محمد عبد الغنى حسن

ايهـا المسلم القوى النضال
ايهـا المسلم الرفيع المثال

يا أخا الفضل يا أبا الاقبال
لك منا تحية الاسلام !

لك صوفية القوى العامل
هل رأيت الحياة يوما لغافل ؟

أو لدرويش قومه المتواكل
لم تسخر حياتنا للنيام ..

انما العيش قوة وارادة
لم يمكن رب العباد عباده

من حياة مملوءة بالزهاده
لذة العيش فى اقتحام الزحام

يا مثالا للمسلم المتفوق
فى بيان ومنطق متدفق

عرف الحق بالخيال المحلق
ماوراء الذرا ، وخلف الغمام ...

كنت صوتا للمسلمين قويا
ملأ الأرض رجفة ودويا

وبيانا عذبا وشعرا وضيا
سائغا فى القول والافهام

صوتك العذب لايزال يرن
تتملى به على الحق اذن

وبه كل حائر يطمئن
فى الطريق المحفوف بالآلام

شعرك العذب نفحة من نبوة
فائض ماؤه بكل فتوة

وهو يدعو الى الحياة بقوة
لم تهن مرة الى استسلام

لثم الشعر قبلك النوارا
يرشف الراح من ثغور العذارى !

خالعا فى رحابهن العذارا ...
معرضا عن ملامة اللوام ...

يجد العيش فى رنين الكئوس
وافتداء الهوى بكل نفيس

من ملاح يضئن مثل الشموس
فيحلن الظلام غير ظلام

ذاك شعر الأزهار والأقداح
وخدود كالورد والتفاح

وعيون كالنرجس الفضاح
وثغور كالزنبق البسام .. !

أين تلك الاشعار من روح شعرك ؟
أين أزهارها بجانب زهرك ؟

أين خمر الكئوس من طهر خمرك ؟
يا نقى الشعور والالهام ؟ !

ما عرفنا فى الشعر منك ضلالة
أو عهدنا عليه غير النباله

فهو فى شرعك المتين رساله
لمرام أعظم به من مرام

هو شعر الحياة ينبض عزما
هو شعر الاشراق ينطق حكما

هو شعر الاسلام يقطر سلما
هو شعر على المدى المترامى

عذاب

للشاعر: محمد احمد العرب

عذاب .. اذا انت فى ساعدى
نوشوش كل ضحى راقد
عذاب .. اذا احرقين المدى
بصمت رهيب الاسى .. واقد
عذاب .. اذا تهمسين الحروف
بنصف صدى شارد .. شارد
عذاب .. هو الرفض .. لاخافقى
يطيق .. ولا الجوع فى ساعدى
انا سحبة من شعاع طرى
اذا دغدغت شفتاك النداء
والف هتاف عل شفتى
اذا انهار خلفك لهث الفراء
اجدف خلف تخوم الخيال
بعينيك بالفضة الكبرياء
عرفت عذابى ؟ لا تطفئى
عيونن المسافات يا فتنتى
انا فارس .. مزقتنى الرياح
وانت على شفتى وحدتى
حصانى ضاع .. وحتى الطريق ..
تلفع الف دجى ميت
مشيت على جبهة الدرب عصير
الى اللا قرار .. الى غربتى
جوارك .. احسو عبير الضياع
وان اغرقتنى عيونك فيه
واصحو عل نبضة للشراع
الجريح .. فاصرخ .. لا تجرحيه
وأنت .. كما يشتهى العنفوان
تقولين : يا شاعرى .. تفتديه ؟
فداه السنا .. والصدى .. والحرير
وابيات شعرى .. وما احتويه
اذا قلت انى احبك
هذا عذاب يغمغم فى احرفى
فلمى شباكك .. انى غزلت
بكفى الشباك عل موقفى
وموعدنا .. غيمة قد تجى
وقد لا !! فيا قدرى انصفى



جاسم الدين .. شاعر الطبيعة والقرية والاشتراكية

للكاتب الباكستاني: محمد حسين

ترجمة: عبد الله حسين

« هذه قوة جديدة ـ قوة
طاغية ـ في الأدب البنغالي ،
تمنح التعبير للملايين الصامتة
في القرى » .

بهذه الكلمات حيا الشاعر الخالد طاغور جاسم الدين .

ولد جاسم الدين عام ١٩٠٧ في احدى قرى (فاريد بور) بشرقي باكستان وهو ينتمي الى جماعة الشعراء المسلمين التي تكونت في العشرينات ، اخذة على عاتقها بعث الهيبة التي كانت من سمات القرائح الاسلامية الخلاقة في عوالم الفن والأدب .

وكانت هذه الجماعة تضم ، بطبيعة الحال ، الشاعر البنغالي العظيم نصر الاسلام . على انه بينما كان (نصر الاسلام) يستوحي اعماله من ذكريات الامجاد الاسلامية التليدة ، فان شاعرنا جاسم الدين يستلهم الحاضر المتمثل في جماهير الريف ، وعواطفهم ، واحزانهم ، وآمالهم .

ولقد كان جاسم الدين ،بطبعه ، واحدا من الريفيين الذين صورهم ؛ فيه كل وداعتهم وبساطتهم وانطوائهم . درس حياتهم عن كثب ، واشربت عواطفه بحبهم والحماس لهم . ولم تزده زياراته لاوروبا وامريكا الا قربا من ابن القرية في بلاده .

ولقد زار جاسم الدين يوغوسلافيا منذ بضع سنوات ممثلا باكستان في المؤتمر الدولي للادب الشعبي . فاغتنم تلك الفرصة ليقوم بجولة واسعة لبعض المناطق الريفية بشرق اوروبا . وكان يهدف من الجولة ان يقف على معيشة القرويين في اوروبا ويتعرف على مشاكلهم .

ولقد استطاع جاسم الدين ان يقدر بدقة مركز القرويين ببلاده ـ وان يضع اصبعه على قيم حياتهم والصعوبات التي تكتنفهم . ولذلك نجد في اعماله المبكرة مثل « حقل اللحاف المطرز » ، و «الراعية» و «الشاطئ» و «الجمال» و«الغجرية» و«حقل الحنطة» مقطوعات عاطفية تمثل واجهات متباينة للحياة في الريف .

وكان تناوله لموضوعاته في مبدا حياته الأدبية تناولا فنيا مطلقا، الأمر الذي نتج عنه ان الأوضاع البغيضة قد بدت من وراء تلك الستر الفنية الشفافة صورا نبيلة . بيد ان تدارك ذلك في اعماله المتأخرة مثل «صرخة الأرض» و «الجولة في امريكا» التي اعتمدت على تناول عقلي لموضوعاته عامة،اكثر من التناول العاطفي الذي اتسمت به اعماله الاولى .

وتعكس قصائد جاسم الدين المتأخرة عقيدته الاشتراكية .

ولقد استخدم في هذه القصائد الأشكال الغنائية التقليدية في شعر منطلق ، مبشرا بان المجتمع المزيف قد تقوض بنيانه ، ومعلنا عن قدوم عصر الخلاص المتمثل في قيام المجتمع الاشتراكي. وتتسم اعماله الأولى بالوضوح الفني والعنف الانفعالي الذي تتسم به اعمال (سبنسر) و (داي لويس) ، كما تبدو في اعماله المتأخرة الساخرة التي نراها في اشعار (اودن) و (ت. س اليوت) .

ان اسلوبه في رسم الحياة القروية ، هو اسلوب رسام ذكي اريب خبير ببواطن النفس البشرية فهو مثلا يميط اللثام عن كوامن قلب الراعية ، ورجل القارب والصياد والغجرية ، ثم يرسم خلجات افئدتهم باناة وتفصيل يثيران الاعجاب .

وفي شعر جاسم الدين نجد مزجا واضحا بين العنصرين الادبي والشعبي ، وينبع العنصر الشعبي عند جاسم الدين من الأشعار الغنائية والمواويل الشعبية التي تتوارثها مجتمعاتنا الريفية . من هذا النبع الخصب استقى جاسم الدين اشعارا تصور اصدق تصوير الحياة التقليدية لريفنا ، مما يندر وجود قرين له في اي ادب آخر .

واهم ما يتميز به جاسم الدين هو عين يقظة لأدق التفاصيل. فالطريقة التي رسم بها الحياة والمناظر الطبيعية حول نهر البنغال الشرقي ، وحقول الحنطة ، والشواطئ ، هذه الطريقة يمكن ان تقف على قدم المقارنة مع اسلوب المصورين الانجليز الشاعريين مثل (ترنر) و (كونستابل) ، والمصورين الهولنديين المحدثين مثل (رولوف) و (موفا) وغيرهما .

وثمة عنصر درامي في تصويره للقرية ، يشد اليه الخيال الشعبي ، ومما يزيد من قوة ذلك التصوير استخدامه الحاذق للون . ويبدو من قصيدته « سوجان باديارجات » ان جاسم الدين قد كرس نفسه لتصوير جمال المناظر الطبيعية لشرقي باكستان ببساطتها وعذريتها .

كما ينطوي تصويره « لرجل القارب » و « جمال القرية » على حيوية ، وانطلاق ، وتوقد ، وهي صفات مكفولة لهذا الفنان الخلاق ، تلميذ الطبيعة البشرية الاكبر ، بما لتلك الطبيعة من صدق وبعد عن الزيف .

وتمنحنا قصيدته « الغجرية » صورة بارعة لفتاة صغيرة ، وهي في الوقت نفسه تقدم لنا تاويلا لحالات القلق المشتاق والهواجس الشاردة سواء في الطبيعة او لدى البشر .

وفي « حقل الحنطة » نجد صورة تمثل احساسه الشعري ، مع التزامه بالأساليب الكلاسيكية لقرض الشعر • والقصيدة تقدم لنا ايضا احساسا بالارتياح على بساط من الهدوء الاخضر• وهي كذلك مثال على شفافية اخلاصه للطبيعة ، وعلى جمال نورانيته التالقة •

وبعض مقطوعاته تصور احزان الفقراء ، بما في هذه الاحزان من عمق يضاهي عمق الأقدار المأساوية التي جابهت ابطال الأساطير • والشاعر هنا يكشف عن احساس عميق للمأساة اليومية لحياة القرويين • وفي تصويره لبحار « قارب قوس قزح » مثال دقيق على حيويته الفائقة في معالجته لحياة الأمواج وحركاتها ، وعلى مهارته في تسجيل تفاصيل الحياة في النهر ، حتى ان الصورة لتبدو في غاية الطبيعية ، وهي في نفس الوقت صورة زخرفية رائعة •

اما تصويره للفلاحين اثناء عملهم في الحقول ، ولعواطفهم ، فربما يكون خير مثل على معالجته الرقيقة للاحداث الواقعية في الحياة اليومية بشرقي باكستان ، مما يستولي على لب القاريء ، لبساطتها الجذابة ، وصدقها المطلق ، وبما تضفيه على النفس من هجوع وراحة بال •

ان معالجته كاملة ، وغنائية ، وتصويره لعاشقي القرية ـ الراعي والراعية ـ يتصف بالصفاء والدماثة في تناوله للعواطف الكامنة وجوانحهما ، ولقناعتهما المطمئنة • وانه ليكمل الصورة ، في مهارة فائقة ، باضافة التفاصيل الدقيقة التي لا تفوت عينه اليقظى ، مما يضفي على الأثر العام جلالا وصدقا •

ان جاسم الدين ، من وجهة نظر التاريخ الأدبي ، هو في الواقع قوة جديدة في الادب البنغالي • فلقد ادخل في مجاله قدرا هائلا من المادة الجديدة ، وفتح على المصراعين ابوابا لم تكن مطروقة قبله •

فالمعتقد بين المزيفين من الخلق ان رجل القرية ليس انسانا بعلى هذه الكلمة • فكثيرا ما نسمع قول قائل منهم : « لاتبال ، انهم لا يشعرون كما تشعر » او « انهم لا يفهمون الحب كما نفعل نحن ـ فليس الحب بالنسبة لهم الا متعة حيوانية » او « كل همهم في الحياة لقمة وقرش » •

وثمة نوعان من الجهد يساعدان على تبديد مثل هذه الفكرة• اولهما هو البحث الانثولوجي (دراسة اصول السلالات البشرية او اجناس الامم واصولها ومميزاتها الخ) ، وثانيهما عن طريق المعالجة الفنية ، وهذه اقرب الى النفوس واوسع مجالا • والأغنيات الشعبية تساعد في فتح باب مباشر على عقول الناس• وذلك هو ما كرس له جاسم الدين جل وقته ونشاطه ـ جمع الأغنية الشعبية •

فلكم جال بالأشهر قرية الى قرية يلتقط الأغنيات الشعبية التي تكشف ما بهم القرويين خاصة • او كما يقول جاسم الدين :

ما الذي يمكن ان تدريه عن الأحزان الخفية

لراع يبيعي في الحقل ؟

عبثا ما نبحث في بهجتنا والمنا

عن اكتناه خفي اسراره •

فاحزاننا مدونة في الأشعار والكتب •

يمكن ان يعرفها اولئك الذين يقرأون •

ولكنها خرساء ، احزان الراعي الصغير

لا تفصح عنها الا انات الناي •

ان عددا كبيرا من الأغاني الشعبية التي جمعها من فتيات القرية وعجائزها ، ومن رجال القوارب ، ورعاة البقر ، والفلاحين ومن اليهم ، اثناء رحلاته على طول البلاد وعرضها ـ هذه الأغنيات قد ساعدته في عمله الخلاق ، « حقل اللحاف المطرز » ، الذي ترجم الى الانجليزية ونشرته جامعة اكسفورد ، فاكسب الشاعر شهرة عالية •

ففي هذه القصيدة القوية يجد القاريء صورة تفصيلية دقيقة ، وقصة خلابة تاخذ في كل لفتة منها بلبه وتستولي على مشاعره• فمن المستحيل ان تقرأ هذه الحكاية المثيرة ، ثم لا تكف عن احساسك بالتعالي ، او حتى اللامبالاة ، ازاء القروي القادر على مثل هذا الحب المشبوب ، ومثل هذا الحزن الدفين •

ان القرويين عند جاسم الدين يبتهجون ويقاسون ، يريدون او يرادون ، يكرهون ويياسون من اعماق ارواحهم ، ليس ثمة ما هو تافه او سطحي في عالمهم ، انهم ، وما حولهم ، حق وصدق •

ويا لها من صور رائعة تلك التي تضمنتها القصيدة ! ان القاريء ليرى فيها كل صغيرة وكبيرة بينما (روبا) يقطع عيدان الخيزران ، ويراه عاشقا يحضر لحبوبته ، في خفر ، الحلوى والحلي ، وعقله مضطرب ، مثل ناي الآفاق « •

• • • • والقارب العاجز يتقاذفه الموج •

يدفعه في بطء الى الأمام •

ليجره مع التيار الى ميناء مجهول •

وثمة شيء سحري عن موسيقى الحصاد التي لايستطيع احد ان يشعر بها وينقلها الا جاسم الدين ـ كما لو ان التربة ذاتها ، والنبات قد بعثا الى الحياة من جديد •

طوال المساء ، وعبر القرية كلها

تعزف موسيقى الحصاد •

ويغني الفلاحون بحناجر جديدة •

يغنون من فرط البهجة •

ويعزفون الناي فيكتشفون

معنى جديدا لليل •

ان الريف باكمله ينطلق مغنيا عبر شعر جاسم الدين •

ثم ان الجزء الاخير لقصيدة « حقل اللحاف المطرز » تعبير

محتمل تقريبا ، بعد ذلك ، ولكن ذلك هو ما كان ينبغي ان يحدث . انه دليل على المهارة التي سلب بها المؤلف اهتمام قرائه . فهذه ليست تراجيديا شيكسبيرية – حيث تخلق الشخصيات التراجيدية لغاية تراجيدية ، وحيث التدبير القدري الرهيب يجرهم الى نهايتهم البائسة .

انها مأساة لا يتعرف عليها جيدا الا كل من له دراية بالقرية البنجالية – والقرية الباكستانية ايضا – مأساة الضياع الذي لا معنى له ، واليأس اليائس ، والكارثة الطبقة التي يقف تجاهها الانسان عاجزا .

كما تفعل الكوليرا اذ تغزو واديا او مجموعة من القرى ، وكما يجتاح الطقس السيء الحقول فيأتي على كل عود قائم فيها ، او كما تتسلل الضواري الى حظائر الماشية لتقضي عليها. ومع ذلك ففي وسط هذا الخواء الذي لا معنى له ، وذلك الضياع واليأس ، والجوع والفشل والهبوط ، فان القروي كما يرسمه جاسم الدين يحقق اسمى النتائج . ان قيمه هي قيم الشجاعة والنضال ، قيم الحب والامل .

فلو اننا قسنا اولئك الناس بقيمة حبهم ، وقسنا هذه القصيدة بقوتها في وصف ذلك الحب ، فان كلا من الناس والقصيدة لا بد ان يحتلا من عواطفنا مكان الصدارة .

ان اوزان القصيدة ذاتها تصور روح الريف بالبنجال ، فبساطة ايقاعها وسحرها توحي بالاهتمام بالعمق الانساني الذي تتردد اصداؤه في القصيدة .

وان العنف الانفعال والالفة الساخرة اللذين يتمثلان في قصيدته « صرخة الارض » يعكسان عقيدته الاشتراكية . فمن اهم الملامح التي تتسم بها مرحلته الشعرية الاخيرة هي الاحساس الحاد بالخيبة والاشمئزاز ازاء الحافز المادي لعالمنا المعاصر .

فهو في هذه القصيدة ينثر على الملا قضية الملايين الخرساء ، ويمنح التعبير للاحاسيس الخبيئة في صدور المضطهدين ، ثم يصرخ مذكرا العالم المنهار بالحقيقة الخالدة ، وهي ان الانسان هو تاج المخلوقات جميعا وانه حقيقة كل الحقائق .

لقد بلغت هذه القصيدة ، من ناحية روحها ، ذروة عالية سامية . انه يسمع صيحة الارض ، وتتردد اصداؤها بين النجوم .

هل سمعت صرخة الارض ؟
لقد بلغت سمعي في عمق الليل
انات هذه الارض الخرساء ،
ان النجوم تحملق بعيون لا حصر لها
عبر السماء الشاسعة .
وتمزقت سجف الليل كانما مزقتها ضربات طيور قلقة ،
وبآلاف النغمات عبر اصوات صراري الليل
تصرخ التربة الصامتة ،
وبتفرج السكون بالموجات الايقاعية
التي دفعتها صيحة الارض الخرساء ،
وفي سراديب البيوت الارضية ،
وقد غاصت بالنائمين
احزان مبعثة في القدم
الى الاعماق ،
يهب هؤلاء بأناشيدهم مع الارض المتوجعة ،
وتتردد صرخاتهم عبر العالم
صاعدة من عوالم سماوية .
افي مقدور احد ان يسمع صرخات الارض المعذبة ؟
ان مغالقها المظلمة تنفتح
تصرخ الارض
« واحسرتاه ! » .
تصرخ الارض ، وانا
وحدي الذي يسمع
صرختها الحزينة .
واظل مؤرقا اسمع دقات قلبها العنيفة
حتى تخبو اضواء الليل .
ان الارض لتصرخ من اجل الذين
لا يحسنون الصراخ ،
بأبدانهم الممزقة المهلهلة الخرساء
الشاهدة على وخزات حراب المستبد .
الارض الخرساء ، وقد غمرتها اليقظة والحياة ،
تصرخ في اعماق الليل ،
تمزق بمخالب متشنجة
صدرها في شجن عميق –
وتحمل من القبور
اجداث البررة من ابنائها ،
وعلى الضوء المنبعث من الحباحب تقرأ
صفحة من تاريخ كل حياة ،
« وا اسفاه من اجلك ايها البرعم المحتضر في المهد
وا اسفاه على موتك قبل الاوان ! »
وترتخي قبضة الذراعين المحبوبتين ،
وتنوح الام في اسى كظيم :
« الفاكهة التي جمعتها انت ما زالت مختزنة
يتمتع بها غيرك ،
لقد رحلت بكبرياء جريحه محروما
من حقك ومن افراحك . »
في اعماق الليل تصرخ الارض الخرساء
بلا صدى ،
حتى لتنحرف النجوم عن مداراتها ،
من عنف صرختها ،
وفي المغاور تلج الثعابين غاضبة
رافعة رؤوسها ،
ويتدفق على صدرها السم المختزن من عهود سحيقة
وتنهض الزواحف رافعة رؤوسها
كنبات الشوكران .
وترعد السماء من الرعب
وتتراقص الافاعي في نشوة هوجاء ،
ويومض البرق من انفاسها
وينطلق ، على اثر احتكاك ،
خوف رهيب
في شرارات نارية ،

عبد الله حسين

كوميديا في ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم : علي أحمد باكثير

(٨)

ملخص ما نشر :

ابو الدبول مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابي حنفي المكوجي من مسكنه بالربع ومن الحوش الذي يتخذه ابو حنفي منشرا لغسيله ولكن ابا حنفي قاوم هذه المحاولة بثبات وتعطف عليه محسنة زوجة ابي الدبول التي تنكر على زوجها اندماجه في شلة تعمل على احتكار المنافع فيما بينهم في كل مرفق، ففي المسرح لا يقبلون المسرحيات الا من شلتهم ولما سقطت المسرحية التي الفها بلعوم وفرضها ابو الدبول فرضا على المسرح نسبوا سقوطها الى الاستاذ مرغني مخرجها والى حنفي ممثل الدور الاول فيها وقاموا بحملة صحفية ضدهما حتى اضطرا الى ترك مسرح النهضة والالتحاق بمسرح النجوم .

ومن المتصلين بالشلة الدكتور نجم وهو شعوبي بلغ من كراهيته للعروبة ان وجه زوجته الاجنبية ليليان الى القيام ببحث فيلولوجي تثبت به ان اللغة العربية لغة متخلفة لا تصلح لامة ناهضة ولكن ليليان هداها البحث الى نقيض هذه النتيجة فكتمت ذلك عن زوجها برهة الى ان علم بالحقيقة فاراد قتلها فهربت منه ولجأت الى السيدة محسنة فحمتها وخبأتها في بيتها .

وانكشفت خيانة بلعوم وتلاعبه في شؤون التموين فحكم عليه بالسجن سبع سنين ولم تطق زوجته البقاء في الربع فانتقلت الى الزمالك ولكن ابا الدبول ما لبث ان فاجأ ابا حنفي بانه اشترى الربع وانذره بالاخلاء للهدم ففوض ابو حنفي امره الى الله .

الفصل الثالث

(تدخل أم حنفي بالشاي)

مرغني : اجل يا أبا حنفي ما بقي لنا أي أمل !

ابو حنفي : كلا لا تقل كذلك يا أستاذ لابد أن نفرج باذن الله

مرغني : كيف نفرج يا أبا حنفي وهذا الكابوس جاثم على المسرح منذ أكثر من سبع سنين ؟

ابو حنفي : مصير الكابوس أن ينزاح يا أستاذ فالكابوس لا يدوم

مرغني : الا اذا أصاب الانسان وهو صاح تماما

ابو حنفي : لم افهم ماذا تريد أن تقول !

مرغني : العادة أن الكابوس يجيء للنائم وينزاح عنه حين يصحو من نومه أما اذا جاء الصاحي فكيف ينزاح عنه ؟

ابو حنفي : لا تؤاخذني يا أستاذ اني ما فهمت بعد

مرغني : ان المسرح عندنا يا أبا حنفي لم يسبق له قط أن صحا مثل هذه الصحوة التي هو فيها اليوم ومع ذلك فالكابوس جاثم عليه فكيف ينزاح عنه ؟

ابو حنفي : هل تسمح لي يا أستاذ أن أرد عليك ؟

مرغني : تفضل يا أبا حنفي

ابو حنفي : من اين جاءت هذه الصحوة الكبيرة للمسرح ؟

مرغني : من أين جاءت .. من ثورة ٢٣ يوليو طبعا

ابو حنفي : جميل فهذه الثورة نفسها هي التي ستزيح هذا الكابوس عنه .. معقول أم لا ؟

مرغني : معقول لكن متى يكون ذلك ؟ متى ؟

ابو حنفي : حينما يأتي الأوان يا بني .. كل شيء بأوانه . خذ مثلا بلعوم صاحبك



مـــيرغني : صاحبي ؟ صاحبي من أين ؟

ابو حنـــفي : اعني صاحب المسرحية التي اخرجتها له

مـــيرغني : قطع الله دابره ودابر مسرحيته !

ابو حنـــفي : لقد ظل زمنا يعبث في تموين اهل الحي حتى جاء الأوان فازاحه الله

ام حنفي : وكذلك امرأته السيدة سعدية التي كانت تلقي المياه القذرة في الحوش ازاحت هي ايضا وتركت الربع والحمد لله

حنـــفي : متى يا أمه ؟

ام حنفي : اليوم ‥ راحت تسكن في الزمالك

حنـــفي : صحيح يا امه ؟

ابو حنـــفي : انا رأيتها بعيني خارجة هي وابنتها ومعهما عصام

حنـــفي : عصام ؟

ام حنفي : كان يوصلهما الى هناك

حنـــفي : الحمد لله والله ان سرك يا أبي باتع !

ابو حنـــفي : السر سر الله يا ابني

مـــيرغني : تعني ان الأمل موجود يا أبا حنفي ؟

ابو حنـــفي : ربك كبير يا أستاذ ميرغني والأمل فيه كبير

مـــيرغني : من فمك الى باب السماء يا أبا حنفي

حنـــفي : آمين يا رب !

مـــيرغني : الواقع ان هناك اشاعة قوية تقول ان ابا الديوك سينحى عن المسرح

حنـــفي : أحقا يا استاذ انها اذن لبشرى كبيرة فما منعك ان تخبرني بها من أول الصباح ؟

مـــيرغني : انها ليست الا اشاعة يا حنفي لا ندري أتصدق أم لا

ابو حنـــفي : سوف تصدق باذن الله ‥ سيتزاح هذا الكابوس ان شاء الله ‥ صبي يا أم حنفي صبي الشاي!

حنـــفي : اجل سيكون للشاي اليوم طعم !

(تصب أم حنفي الشاي وتقدمه لهم ويســـود السكون قليلا وهم يشربون الشاي)

ابو حنـــفي : ما هذا يا أستاذ ميرغني ؟ مهموم بعد ؟ ابتسم يا رجل وابتهج ! سيتزاح باذن الله

مـــيرغني : ربما يتزاح يا أبا حنفي ولكن الكابوس سيبقى مكانه كما هو

ابو حنـــفي : ما هذا الذي تقوله يا أستاذ ؟ كيف يتزاح هو ويبقى الكابوس ؟

مـــيرغني : ابو الديوك يا أباحنفي ليس وحده وما بقى ديوكه جاثمين على المسرح فهو جاثم معهم عليه

ابو حنـــفي : سيتزاحون هم ايضا معه ان شاء الله

مـــيرغني : لا اظن يا أبا حنفي انهم منتشرون في كل مكان

ابو حنـــفي : طيب اشرب الشاي اولا لا يبرد

صوت : (بلكنة انجليزية من خارج سور الحوش) اسطى ابو حنفي اسطى ابو حنفي !

حنـــفي : الله ! هذا صوت الدكتور تجم !

ابو حنـــفي : مسكين ‥ ما زال يبحث عن امرأته !

حنـــفي : مسكين ؟! هذا كان يريد أن يقتلها فهربت منه بقميص النوم

ابو حنـــفي : أومن هذا حاله يا ولدي ليس بمسكين ؟

الصوت : اسطى أبو حنفي ! أوبن ذا دور ! أوبن ذا دور !

ام حنفي : دا برطن بالفرنساوى

حنفي : لا يا امه بالانجليزى !

ام حنفي : اسكم !

حنفي : الحمد لله اذ اغلقنا الباب وراءنا والا دخل

ام حنفي : ولولا ان الدكان مسكوك اليوم يوم الاثنين لدخل من باب الدكان ورعبنا كما فعل ذلك اليوم

ميرغني : اجل لقد حكى لى حنفي انه فعل الافاعيل يومذاك

ام حنفي : اى والله يا استاذ لا ادرى كيف يتركون مباليا هكذا وهو مجنون شرس

ابو حنفي : يااستى ربما يعود له هدوؤه لو عادت اليه امرأته

ام حنفي : واين امرأته الآن ؟ لا أحد يعرف طريقها

حنفي : لابد انك تعرف طريقها يا أبه !

ابو حنفي : ماذا تقول يا حنفي ؟

حنفي : الست ام عصام لا تكتم عنك شيئا فلابد انهـا اخبرتك بمكانها

ام حنفي : صحيح يا ابا حنفي ؟ الا تخبرنا يا رجل ؟

حنفي : لا تخف يا أبى انا أمناء على السر

ميرغني : لا حق لك يا حنفي أن تحرج والدك هذا الاحراج قريبا ...

ابو حنفي : كلا لا احراج بتاتا يا أستاذ ميرغني .. ساخبركم بكل شيء انها الآن في جاردن سيتي حيث أنزلتها الست محسنة في منزل شقيقها هناك

حنفي : وماذا تقول يا أبى ان قلت لها انى رأيتها في مكان آخر ؟

ابو حنفي : أين ؟

حنفي : عند الست محسنة هنا في هذا البيت

ابو حنفي : عند الست محسنة هنا في هذا البيت

ابو حنفي : متى رأيت ؟

حنفي : اليوم صباحا وانا خارج !

ابو حنفي : أكتم هذا الخبر اذن ولا تحكه لأحد وانت ايضا يا أم لسان اياك أن تغضبى الست محسنة على

ام حنفي : يا خرابى ! أليس هو ذاك الواقف هنـاك على السور ؟

حنفي : يخرب بيته ! كيف نط ؟! انه قادم الينا !

ام حنفي : وماذا تصنع الآن ؟ أنا خائفة

ابو حنفي : لا تخافى لن يمسنا بسوء اذا لايناه وأخـذنا بخاطره

ابو حنفي : انظروا .. باب البرندة تغلق .. لابد انهم رأوه حين نط من السور

(يظهر الدكتور نجم وهو في هيئة رثة أشعث الشعر سيء الهندام ويقترب من الجلوس)

نجم : لماذا لم تفتحوا لى الباب ؟

ابو حنفي : ما كنا نعلم انك تريد ان تدخل

نجم : كيف هـذا ؟ لقد كنت انادى باعلى صـوتى يا اسطى حنفي .. اسطى حنفي !

ابو حنفي : هل فيكم يا جماعة من سمع صوته ؟

الجميع : لا لا أحد منا سمع

نجم : الم تسمعوا اوبن ذى دور ! اوبن ذى دور ؟

ابو حنفي : ما صحت انت بالانجليزية يا دكتور فلم يفهمك أحد

نجم : بلاد بلاد كواء محترم مثلك لايعرف الانجليزية؟ مخرج محترم مثلك لا يعرف الانجليزية ! ممثل محترم مثلك لا يعرف الانجليزية أم حنفي محترمة مثلك لا تعرف الانجليزية ؟ مصيبة كارثة..لكن الذنب ليس ذنبكم .. هذا ذنب الانجليز أنفسهم .. الله يخرب بيتهم البعداء .. قولوا معى الله يخرب بيتهم !

الجميع : الله يخرب بيتهم !

نجم : الخائبين المغفلين الهبل !

ميرغني : الانجليز هبل ؟

نجم : أكبر هبل في الدنيا

ميرغني : كلا يا دكتـور . نحن في هـذا مختلفون معك الانجليز ليسوا هبلا انهم أكبر مكارين في الارض

نجم : لو لم يكونوا هبلا لما كانوا رحماء بهذه الدرجة

الجميع : رحماء ؟ الانجليز رحماء ؟

نجم : معلوم انظروا الى الفرق بين الفتح الانجليزى والغزو العربى لمصر

ميرغني : انت عكست الآية يا دكتور . قصدك الغـزو الانجليزى والفتح العربى

نجم : (في تحمس شديد) كلا .. انا ما عكست الآية لهـذا اسمى مجيء العرب الى مصر غزوا لانهم فرضوا لغتهم عليها واسمى مجيء الانجليز فتحا لأنهم لم يفرضوا لغتهم عليها بل تركوا لغتها كما هى .. الله يخرب بيوتهم ! لولا هبلهم هـذا لكانوا خلصونا من هذه المصيبة التى نحن فيها والآن لكنا اليوم ضمن أمم الكومنولث !!

ميرغني : أوتظن يا دكتور انهم كانوا يقدرون أن يفرضوا لغتهم علينا ؟

نجم : ولم لا ؟ لقد كانوا اقوياء وكانت امبراطوريتهم لا تغرب عنها الشمس ومكثوا في مصر لا سنة او سنتين بل سبعين سنة !

(يهم ميرغني ان يشتد عليه فرجو له أبو حنفي أن يرفق به)

ابو حنفي : طيب اقعد يا دكتور . خد اشرب الشاى

نجم : (يجلس ويحتسي الشاي) خبرني لماذا تسقيني الشاي ؟

ابو حنفي : لأني احبك يا دكتور

نجم : لا تضحك على عقلي اني اعرفك جيدا انك تخبئها علي !

ابو حنفي : أخبيء من يا دكتور ؟

نجم : الخائنة

ابو حنفي : تعني من ؟

نجم : أتريد أن تتغابى ؟ الا تعرفها ؟ امرأتي ليليان.. مدام نجم

ابو حنفي : أستغفر الله لماذا اخبئها عليك يا دكتور ؟

نجم : ألست أنت عربي ؟

ابو حنفي : الحمد لله .. عربي ومسلم

نجم : لابد اذن أن كلامها أعجبك .. انها تزعم أن اللغة العربية هي أكمل اللغات كلها على الاطلاق

ابو حنفي : أليست هي انجليزية يا دكتور ؟

نجم : انجليزية فقط لأن ابوها انجليزي وامها فرنسية وجدتها ايطالية واعمامها امريكان اين أجد أكثر منها بعدا من جنس العرب ؟

ابو حنفي : اذن فغير معقول يا دكتور ان يكون رأيها حسنا في لغتنا العربية

نجم : غير معقول ولكن هذا الذي حصل . لقد ألفت كتابا في هذا الموضوع ونشرته في لندن

ابو حنفي : الآن أستطيع ان افسر ذلك

نجم : كيف ؟

ابو حنفي : انها احبتك يا دكتور فأحبت لغتك !

نجم : (يستشيط غضبا) من قال لك انها لغتي ؟ انها ليست لغتي .. انا منها غريب وهي عني غريبة!

ابو حنفي : طيب طيب لا تغضب

نجم : حذار أن تعود لمثلها ! سامع ؟

ابو حنفي : سامع يا دكتور

نجم : قل لي أين هي الآن ؟

ابو حنفي : من أين أعرف يا دكتور ؟

نجم : يا خبيث ! الا تعرف انها في بيت ابي الديوك اليس كذلك ؟

ابو حنفي : الم يجيء رجال الشرطة يوما وفتشوا بيت ابي الديوك والربع كله ؟

نجم : لكني سمعت اليوم انها موجودة في بيت ابي الديوك .. أخبرني بذلك أحد أصدقاء أبي الديوك نفسه

ميرغني : وما دخلنا نحن في هذا الموضوع يا دكتور ؟

نجم : أريد ان أتأكد منكم لعلكم تحضرونها وتخبئونها في البرندة او مطلة من الشباك

ابو حنفي : كلا لا احد منا لمحها يا دكتور

نجم : انت لم ترها يا ابا حنفي ؟

ابو حنفي : لا

نجم : (لحنفي) وانت ؟

حنفي : ولا أنا

نجم : ولا انت يا استاذ ميرغني ؟

ميرغني : ولا انا

نجم : ولا انت يا ام حنفي ؟

ام حنفي : ولا انا يا دكتور

نجم : (يعتريه أسى شديد وكأنه نسي ما حوله ومن حوله فسار ناحية البرانده وهو يقول بصوت يخالطه البكاء) أين انت ذلك يا ليليان ؟ أين ياحبيبتي أراضيك ؟ لماذا هربت مني ؟ اني احبك اني اعبدك .. امن جراء السكين التي شهرتها عليك تلك الليلة ؟.. كان ذلك على سبيل المزاح، قسما بحياتك اني لأذبح نفسي قبل أن أذبحك (يصعد الى البرندة) يا سلام ! كنت جالسا معها في هذه البرندة .. انا هنا وهي هنا .. كنا في منتهى السعادة . (كأنه ينتبه من غفلته) الله ؟ لماذا تركتهم هناك وجئت هنا ؟ ماذا عساهم يقولون عني ؟ مجنون ؟ (يعود الى حيث كان مع أبي حنفي ورفاقه) حذار أن تظنوا بي الظنون يا جماعة ! انما سرح بي الخيال قليلا فتذكرت جلستي مع ليليان ذات ليلة في هذه البرندة .. كانت جلسة حلوة في حفلة رائعة ! اظن انك كنت معنا يا استاذ ميرغني تلك الليلة؟ سمعت ماذا قلت لك ؟

ميرغني : أجل يا دكتور

نجم : أتذكر اذ اعطوك تلك المسرحية التافهة التي سموها مسرحية الموسم ؟ (يضحك)

ميرغني : تلك بلية لا يمكن أن تنسى

نجم : افرح اليوم وانبسط .. ها هو ذا ربنا قد انتقم لك منهم .. هذا بلعوم قد انبلع (يضحك فهقهتها ويضحك الآخرون)

(ينفتح باب البرندة ويظهر عصام ومعه ليليان وتظهر محسنة كأنها تريد أن تثنيها عن الذهاب ولكن ليليان تصر عليه فتتركها محسنة وتومئ لابنها عصام كأنها توصيه أن يحافظ على ليليان) (يتطلع نجم كالذاهل وترتسم في وجهه مشاعر متضاربة ويستولي الذهول على الآخرين كأنهم لا يصدقون ما يرون)

ابو حنفي : (يقطع الصمت) الحمد لله .. ها هي ذي قد جاءت الى حيث تكون يا دكتور نجم .. ستعودا احدكما الى الآخر كما كنتما من قبل واحسن أتسمعني يا دكتور ؟

نجم : (كأنما ينتبه من غفلته) هه

ابو حنفي : سمعت ماذا قلت لك !

نجم : نعم نعم

ابو حنفي : أنها مسكينة يا دكتور .. غريبة ليس لها غيرك

نجـــم : الدكتور حسنى المؤيد ترجم كتابها ! وقد ظهر الكتاب فى السوق . (يحملق نحوها وهى مقبلة مع عصام) ترى متى رأى الكتاب ومتى رآها هى؟

ليليـــان : (عل كتب منسه) هالو دارلنج .. هاو آر يو دارلنج .

نجـــم : (ساخرا) هالو دارلنج .. هاو آر يو دارلنج؟

ليليـــان : يوبترلاو ؟

نجـــم : أين كنت ؟ عند الدكتور حسنى المؤيد ؟

ليليـــان : ان كنت تريد أن تعـــود لجنونك فانى ساعطى وأتركك

نجـــم : لكنى لن أدعك تمضين يا خائنة ! (يخرج خنجرا من وسطه ويحاول الانقضاض عليها فيدفعه عصام عنها ويحيط به حنفىومبرغنى وأبوحنفى فينتزعون منه الخنجر ويمسكونه وهو يحاول التملص منهم) دعونى دعونى أقضى عليها !

(يطلقونه حينما رأوا عصام وليليان قد دخلا باب البرندة وأغلقاه . ينطلق حتى يصـــعد البرندة ويهز الباب هزا بكل قوته)

نجـــم : افتحوا الباب والا كسرته .. افتحوا خيرا لكم . يا أبا الديوك ! يا أبا الديوك ! بأى حق تأخذ امرأتى ؟ ما شأنك بها ؟ كيف تخبئها فى بيتك ؟ (يبرز وجها أبى الديوك وصلصل من شـــباك فوق البرندة)

ابو الديوك : الا تكف عن الصياح والسباب ؟

نجـــم : افتح يا ضلال .. اعطنى امرأتى !

ابو الديوك : كفى يا مجرم !

نجـــم : أنت المجرم !

ابو الديوك : لأسوقنك الى السجن ! لأدعون لك البوليس !

نجـــم : دع البوليس يحضر ليقبض على امرأتى النـــاشز الهاربة من بيت الزوجية . لن أعاملها كزوجة بعد اليوم .. لأعاملنها كجارية لاحبسها فى البيت ولا أدعها تخرج أبدا .. أين تظن نفسها ؟ فى بيكاديلى ؟!

ابو الديوك : كفى يا مجنون..ساجعلهم يسوقونك الى مستشفى المجانين

نجـــم : (يستشيط غضبا فيهبط الى الحوش لكى يرى الشباك الذى يطل منه أبوالديوك) أنت وصلصل؟! الأخطبوط عندك ؟ طيب خذ أنت وهو (يلتقط بعض الطوب فيقذف به الشباك) لأريحن البلد منكم يا كذابون .. يا نصابون .. غدرا غدرا (يغلق أبو الديوك الشباك ولكن نجم استمر فى قذفه بالطوب) كذابون نصابون ظللتم تتاجرون بالمبادىء حتى افلستم وبنيتم العمارات .. سميتم

أنفسكم شيوعيين .. كذب .. شعوبيين كذب.. اشتراكيين كذب .. تقدميين كذب .. يساريين كذب كذب .. أنتم تجار فشاشـــون .. أنتم مؤســـسة احتكارية قانونها سرى له جلد أحمر !

(يقترب منه أبو حنفى فيلاطفه حتى استطاع أن يعود الى مجلســه أمام البدروم)

نجـــم : (وقد هدأ واستكان) خلاص .. يا أبا حنفى.. ما بقى لنا عيش فى هذا البلد !

ابو حنـــفى : لم يا دكتور ؟

نجـــم : كلهم متواطئون على

ابو حنـــفى : من تعنى ؟

نجـــم : امرأتى وأبو الديوك وصلصل وحسنى المؤيد كلهم كلهم

ابو حنـــفى : وما الذى يدعوهم الى التواطؤ عليك ؟

نجـــم : الم تقرأوا الجرائد اليوم ؟

مـــبرغنى : بل قرأناها

نجـــم : أرأيتم كيف وافقت الحكومة على ذلك المشروع الهدام

حنـــفى : أى مشروع يا دكتور ؟

نجـــم : المشروع الذى قدمه حسنى المؤيد

مـــبرغنى : هذا المشروع عظيم جدا يادكتور من أجل أن تتنور الجماهير وترقى ويتوحد اللسان فى البلادالعربيه بقميص النوم

نجـــم : ومن قال لك اننا نريد لساننا ان يتوحد ؟ كلا بل نريد أن نكون مثل الشعوب الاوربية الراقية .. فرنسا لها لغة واسبانيا لها لغة وايطاليا لها لغة فلم لا تكون للمصريين لغة ؟ وللسوريين لغة وللعراقيين لغة ولكل بلد فى البلاد العربية لغة

مـــبرغنى : ان معنى هذا يا دكتور أن اللغة العربية تموت

نجـــم : لتمت يا أخى .. ما يمنعها ان تموت ؟ ليست خيرا من اللغة اللاتينية .. يكفيها ما عاشت . لقد عاشت أكثر من ألف وخمسمائة عام . أتريد أن تذهب ؟ دعها يا أخى تغور لتخلد لنـــا لغة أخرى جديدة !

حنـــفى : لكنا يا دكتور لا نريد بلغتنا بديلا

نجـــم : عبيد عبيد لم ينضجوا بعد لتحطيم أغلالهم !

مـــبرغنى : يخيل الى يا دكتور انك لم تقرأ البحث الذى كتبه الدكتور حسنى المؤيد فى هذا الموضوع

نجـــم : ولماذا اقرؤه ؟ ان فكرته مسروقة من الكتاب الذى ألفته امرأتى الخائنة ! هو الذى ترجم لها هــذا الكتاب من الانجليزية الى العربية . أواه .. أنا كنته السبب .. أنا الذى جلبت لنفسى هــذه

الصبية • كنت أريد أن الخبط اليقبغان فيقبغت اللخبطان

ميرغني : ماذا تقصد يا دكتور ؟
نجم : كنت أريد أن أبغبغ اللخبطان فلخبطت اليقبغان
حنفي : انت قلبتها يا دكتور
نجم : كنت أريد أن الخبط اليقبغان فيقبغت اللخبطان
ميرغني : هذا كلام غير مفهوم يا دكتور
نجم : كنت أريد أن أبغبغ اللخبطان فلخبطت اليقبغان
حنفي : الله ! قلبتها مرة أخرى يا دكتور
نجم : كنت أريد أن الخبط اليقبغان فيقبغت اللخبطان
(يتداعى باكيا)

ابو حنفي : (يتلقى رأسه في حجره ويواسيه) خلاص • فهمنا يا دكتور • فهمنا يا سيدي • اهدأ الآن واسترح • صبي له فنجان شاي يا أم حنفي (يشير الى ميرغني وحنفي أن يتركاه ولا يزعجاه) خذ يا حبيبي اشرب الشاي

(يشرب نجم الشاي وأبو حنفي يجفف دموعه بمنديله)

نجم : متشكر يا أبا حنفي •• أنت الوحيد الذي أستطيع أن أثق به في هذا البلد •• لا شك أن أصلك من بلد آخر •

ابو حنفي : من بلد آخر ؟ كلا اني من هذا البلد أبا عن جد
نجم : اذن فمثلك لا يستحقه هذا البلد بل لا تستحقه هذه المنطقة كلها من الخليج الى المحيط كما يقولون

ابو حنفي : لماذا يا دكتور ؟ لماذا ؟
نجم : لأنها منطقة موبوءة
ابو حنفي : موبوءة ؟

نجم : أجل لقد سرى فيها الوباء وتغلغل حتى أصبح خلاصها منه مستحيلا أو كالمستحيل • حتى ماضيها للطلخ والتدليس !

ابو حنفي : ماضيها للطلخ والتدليس ؟ كيف يا دكتور ؟
نجم : أتعرف رمسيس الثاني ؟
ابو حنفي : (كالمتعجب) رمسيس الثاني ؟
نجم : نعم الفرعون المشهور
ابو حنفي : الذي تمثاله في ميدان المحطة ؟

نجم : هو بعينه •• والسفلة • لو لم يرني ذلك الشرطي تلك الليلة لحطمته تحطيما !

ابو حنفي : لم افهم ماذا تريد أن تقول
نجم : ان رمسيس هذا الذي كنا نبلغ به السماء ونفاخر به أمم الغبراء اتضح أنه غاين غشاش حقير لا قيمة له

ابو حنفي : ما هذا الذي تقول ؟
ميرغني : لعل الدكتور يقصد أنه كان كما يقول بعض المؤرخين - يسطو على آثار غيره من الفراعنة السابقين فينسبها الى نفسه بأن يمحوا أسماءهم منها ويضع مكانها اسمه

نجم : لا لا يا أستاذ •• تلك سرقة صغيرة أمرها هين
ميرغني : فماذا تقصد اذن ؟

نجم : جريمة أكبر من ذلك بكثير •• الخيانة الكبرى !
الثلاثة : ما هي ؟
نجم : لقد استعرب هو الآخر !
ابو حنفي : استعرب ؟ ماذا تعني ؟
نجم : انتسب الى العرب !
ميرغني : أين وجدت ذلك يا دكتور •• في أي كتاب ؟
نجم : كتاب ؟ هو الذي قال لي ذلك بنفسه !
الثلاثة : من هو ؟
نجم : رمسيس الثاني

(يحركون رؤوسهم متعجبين في شفقة ورثاء)

نجم : ما خطبكم ؟ لم تصدقوني ؟

ابو حنفي : بل يا دكتور أنت عندنا مصدق ولكن ماذا قال لك رمسيس ؟

نجم : سأقص عليكم حكايتي معه • اشتركت مع بعض أصحابي ليلة رأس السنة في الحفلة التنكرية التي أقيمت في قاعة أخناتون بهلفون واذا نحن برمسيس الثاني وحمورابي وفينيق وهانيبال وأبطال آخرين من كل مكان وكل زمان وكان معي من الرفاق نهاوند من العراق وأدونيس من سوريا وسعيد عقل من لبنان ويوسف الصايغ من فلسطين فقلنا هذه فرصة ذهبية أتيحت لنا لنقابل آباءنا الحقيقيين عسى أن يباركوا حركتنا ويخرجوا معنا للجهاد في شعوبنا وبلادنا •• فذهبت أنا لرمسيس وذهب أدونيس وسعيد عقل لفنيق وذهب نهاوند لحمورابي

ميرغني : جميل جميل •• كل واحد منكم راح لجده
نجم : نعم ولكن (يلطم خديه بأصابع كفيه كما تفعل النادبات)
الثلاثة : لكن ماذا ؟
نجم : أتدرون ماذا حصل ؟
الثلاثة : ماذا حصل ؟

نجم : ما كدنا نحدثهم عن فكرتنا حتى هاجوا وماجوا وتفلوا في وجوهنا وأوسعونا ضربا بالأيدي وركلا بالأرجل وهم يصيحون لنذبحنكم يا شعوبيون ! لنشربن من دمكم ! فما أنجانا منهم الا الفرار أتعرفون لم كل هذا ؟

الثلاثة :
لم ؟

نجم : لأنهم قد أصابتهم العدوى •• أصبحوا عربا مثلنا فقدوا كينونتهم كما فقدنا كينونتنا •• لقد سمونا شعوبيين •• تصوروا •• حتى كلمة الشعوبيين عرفوها •• انتقلت اليهم كالوباء • أين نروح

الآن ؟ ماذا تصنع ؟ ما بقي لنا أمل لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل !

(ينفتح باب البرندة فيظهر أبو الديوك وصلصل وثلاثة من رجال الشرطة)

نجـــم : (ينهض في قوة) اعطني سكينتي ! اعطني السكين .. لابد لي أن أقتلها .. أن أشرب من دمها !

ابو حنـــفي : صه لايسمعوك

نجـــم : فليسمعوا ما شانهم وشانها ؟ انها امرأتي وانا حر فيها .

(يقترب الرجال الخمسة)

احد الشرطة : أهذا هو ؟

ابو الديوك : نعم هو هذا

ثانيهم : اني رأيت هذا الشخص من قبل .. ابراهيم . انظر ! هذا الذي تسلمناه انا وانت من قسم الازبكية

ثالثهم : أجل المجنون الذي عمل له محضر محاولة اعتداء على تمثال رمسيس في ميدان محطة مصر

ثانيهم : وضمنه شيخ الحارة وطلع ؟

الاول : خيبك الله . الم يعد اليك عقلك بعد !

نجـــم : نعم لقد اردت أن اوشوشه . ما شأنكم انتم وشانه ؟ تف في وجهي ام تف في وجوهكم ؟ ضربني وركلني ام ضربكم وركلكم ؟

الاول : البسوه القميص

(يمسكه الثـــاني وهو يقاوم حتى يتمكن من الباسه القميص ثم يسوقونه بشيء من العنف نحو باب الخروج من الحوش)

نجـــم : أتراني قتلتها وانا لا أشعر ؟ اذن فمرحى يانجم! برافو عليك ! (تقع عينه على أبي الديوك) كل هـــذا بسببك أنت يا رمسيس النحس ! والله ما أنا تاركك ليكونن على يدي أجلك

ابو حنـــفي : رح واياهم يا حنفي لعل الدكتور يحتاج الى شيء

مـــرغني : أنا معك يا حنفي . هيا بنا (يخرج هو وحنفي وراء القوم)

(تظهر ليليان على البرندة وهي حزينة والى جانبها محسنة وعصام يواسيانها)

ابو حنـــفي : مسكين . عقله راح!

ام حنـفي : ومسكينة امرأته

ابو حنـــفي : صحيح . ربنا يكون في عونها !

(يعود أبو الديوك وصلصل متوجهين ناحيـــة البرندة فتنسحب ليليان ومحسنة)

ام حنـفي : وابو الديوك هذا ما من شيء يصيبه ؟!

ابو حنـــفي : غدا يا أم حنفي يجيء دوره .. اين يروح من عاقبة الظلم ؟

ام حنـفي : لكن متى يا سالم متى ؟ بعدما نطرد من الربع ؟

ابو حنـــفي : بعد ما نطرد او قبل ما نطرد هذا شيء علمه عند الله يا عنبه

(يختفيان داخل البدروم)

صلصل : ما بالك حزينا هكذا . آسف لما حل بنجم ؟

ابو الديوك : ابدا .. لقد استرحنا منه ومن بلاويه

صلصل : لم اذن هذا التقطيب ؟ أتراك تفكر في ربع آخر تشتريه ؟

ابو الديوك : يا اخي اني لم أسدد بعد ثمن هذا الربع

صلصل : اذن فما الذي يشغل بالك ؟

ابو الديوك سيخرجونني من المسرح يا صلصل !

صلصل : هذه مجرد اشاعة ربما لا يكون لها أصـــل ولا فصل

ابو الديوك : أخشى أن تتحقق يا صلصل !

صلصل : افرض انها تحققت البركة في ديوكنا المنتشرين اليوم في كل مكان . ان هؤلاء سيجعلونك كأنك ما تزال مسيطرا على المسرح

ابو الديوك : هذا صحيح ولكني لا أدري لماذا أشعر بشيء من الخوف الخفي ومن التشاؤم العميق خشية أن يجيء دوري بعد بلعوم والدكتور نجم

صلصل : دع عنك هذا يا محرم .. لا كنت مدير جمعيـــة استهلاكية مثل بلعوم . ولا كنت صاحب مبـدأ مثل المجنون نجم .. لا تموين ولا مبـــدأ فمم تخاف ؟ هيـــا هيـــا أرني ابتسامتك الحلوة (يدغدغه) هيا يا رجل

ابو الديوك : (يتمايل من الدغدغة) أرجوك يا صلصل .. وبعد ياصلصل ؟

صلصل : لابد لي أن أدغدغك !

ابو الديوك : طيب طيب سأبتسم يا صلصل (يبتسم)

صلصل : أجل أجل هكذا يجب أن تكون . هذه الابتسامة الجوكندوية هي سلاحنا في الأزمات وكذلك اليوجا أوقد نسيت اليوجا ؟ فيم اذن اتعبنا أنفسنا في تعلمها ؟ (يأخذ بيده فينهض)

ابو الديوك : صلصل .. ماذا تريد ياصلصل ؟

صلصل : هيا بنا نقلب أنفسنا حتى لا يقلبنا أحد !

ابو الديوك : ولكن لنتعود الوقوف على رؤوسنا من اليوم

(يضعان رأسيهما على الأرض رافعين رجليهما في الهواء)

ام حنـفي : (تظهر) يا سالم . يا أبا حنفي تعال انظر حالا

ابو حنـــفي : (صوته) انظر ماذا ؟

ام حنـفي : يظهر أن أبا الديوك قد جاء دوره .. لقد جن هو وصاحبه !

ابو حنـــفي : (يظهر) هذا ليس بجنون يا عنبة . هذه هي الشوطة التي تصيب الفراخ !

ام حنـفي : الشوطه ؟! الحمد لله . ياما أنت كريم يا رب

صلصل : (يستوي واقفا هو وابو الديوك) لقد تشقلبنا

ابو الديوك : لن يشقلبنا أحد .

ام حنـفي : الله !.. لقد عادت اليهم الروح ؟

ابو حنـــفي : كلا كلا . هذه حلاوة روح !

صلصل : هيا بنا نعيدها مرة أخرى

ابو الديوك : مرة أخرى ! (يتقلبان مرة أخرى)

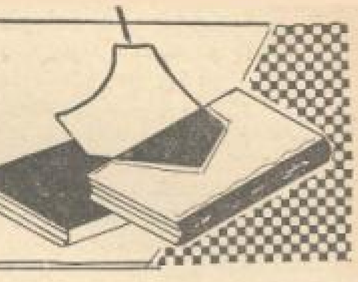
ام حنـفي : أي والله صحيح . دي كانت حلاوة روح

ابو حنـــفي : الم اقل لك

ام حنـفي : (تزغرد)

« ســـتار الختام »

« علي احمد باكثير »



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

مفهوم الأدب الثوري

للثورة في الادب مفهومان رئيسيان :

احدهما ثورة الادب على الادب حينما يرى حاملو لوائها عقم الالوان الادبية السائدة وسوء اتجاهها ، أو ركودها وقصورها في التعبير عن اهتمامات العصر ، واستهلاك طاقتها اما في الزينة الشكلية والجري وراء الخيالات البعيدة عن الواقع ، واما في مواكبة القوى المسيطرة المعادية للتحرر والتقدم ٠

والمفهوم الآخر للثورة في الادب هو التعبير عن الثورة السياسية سواء في التمهيد لها واثارتها ، أو في تعزيزها ومتابعة خطواتها في تحقيق ما قامت له من أهداف قومية واجتماعية واضاءة طريقها وتعميقها في النفوس ٠

ولننظر بعد في المفهوم الاول ، لنرى هل نشأ أدب ثوري على مقتضاه في حياة العرب الثورية التحررية التي كان فجرها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والتي لاتزال في نموها المطرد ؟

أو نسأل بشكل آخر : هل لابست هذه الثورة أسباب فنية تدعو الى أن يثور أدب جديد على الادب السائد ، أو أن ما حدث انما هو تطور اقتضته طبيعة الاحداث والتحولات في الحياة العربية الجديدة ؟

لكي ندرك ذلك ، أو لكي نسلط عليه ضوءا كاشفا تستطيع أن نتبين على هداه حقيقة الامر ، يحسن أن نعود قليلا الى أوائل النهضة الادبية العربية في العصر الحديث ٠

كان الادب غارقا في الحلي وأثواب الزينة وكان هم الادباء وقصاراهم أن يحاكوا القدماء لافي تعبيراتهم وتراكيبهم اللغوية فحسب ، بل كذلك في معانيهم وخواطرهم ، وكانت أثقال الزينة والتقليد تعوق الادباء عن الحركة في الحياة الواقعة والتعبير عنها بجد وصدق ٠

وثارت على ذلك الاتجاه (الكلاسيكي) مدرسة أخرى هي ما سميت بمدرسة الابتداع (الرومانسية) تأثرا بالاصل في أدب الغرب

وكان مبعث هذه الثورة الرومانسية شعور الفرد بالتميز مع شعوره بالضياع والغربة ازاء مجتمع غارق في الظلام مغلوب على أمره ، لا يرى الاديب فيه متنفسا الا في الخيالات واجترار الآلام الفردية ، فيدفعه اليأس منه الى أجواء بعيدة عنه ، **لم يستطع أن يتلاءم معه فاغترب عنه ٠**

ولكن فريقا آخر ثار ثورة أخرى ، تأثرت هي أيضا بالاتجاهات الغربية ، ولكن في الشكل دون المضمون ٠ أحس هذا الفريق بعوامل الضياع في البيئة كما أحس بها في نفسه ، فلم يفصل بين آلامه وجروح المجتمع ، ورأى في الوقت نفسه ألوانا من الآداب الاجنبية ترتبط ببيئتها وتلتصق بانسانها العادي فتصور وتعبر عن الواقع الملموس ويأتي تعبيرها نابضا بما في صميم الحياة من انتفاض أو ثورة على الركود ٠

هذا الفريق هو فريق الواقعية الادبية ، وهو ما سمي في النصف الاول من القرن العشرين بالمدرسة الحديثة ، **ويتلخص مذهب هذه المدرسة في استعارة الشكل الادبي الغربي لمضمون عربي قومي** ، وكان الشكل هو البناء القصصي بأنواعه ٠٠٠ القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ٠ **والمضمون يتركز**

عند ابراز الشخصية العربية وتصوير البيئة العربية، والتعبير عن الانسان العربي بمشكلاته وتطلعاته ، ولم يظفر الشعر بنصيب كبير من هذا الاتجاه لافي الشكل ولا في المضمون *

كانت الواقعية اذن في نهضتنا الادبية الاولى أوائل هذا القرن هي الثورة الادبية المغيرة (بتشديد الياء وكسرها) التي ثارت على الكلاسيكية متمثلة في العكوف على القديم واستهلاك الطاقة في محاكاة أساليبه وزخارف تراكيبه ، وعلى الرومانسية متمثلة في سوء اختيار ما يترجم الى العربية وفي ما يحاكي نماذجها الغربية المتقهقرة أمام زحف الواقعية في مواطنها ، وكانت تلك الثورة اساس التغيرات التي استمرت واتصلت بوقتنا الحاضر ، وان كانت قد تعرضت في سيرها الطويل لموجات من المد والجزر ، كان ابرزها عودة الرومانسية الى الظهور أو الاستشراء ، فانها لم تختف تماما في الفترة التي اعقبت الانتكاسات الوطنية وطغيان المستبدين من أنصار الغزاة المحتلين ، مما جعل بعض الادباء يستأنفون الهرب من الواقع المؤلس الى الخيالات البعيدة ، وبعضهم وجد في التاريخ ملاذا اما للاستيحاء المطلق أو محاولة الربط بالحاضر والايماء اليه .

فلما كانت الثورة الاخيرة ــ سواء بعد انفجارها في ٢٣ يوليو او في حالة كونها جنينا قبل ذلك ــ اتسعت رقعة الواقع وانحسرت موجة الهرب والخشية منه *

وهذا يسلمنا الى المفهوم الثاني للادب الثوري وهو ــ كما سبق ــ التعبير عن الثورة السياسية وما يلابسها من اهداف قومية واجتماعية واضاءة طريقها وتعميقها في النفوس *

لما كانت الثورة جنينا لم يتخل الادب عن رعاية الجنين بل غذاه بوسائل مختلفة ، منها اعمال تشريحية تومىء مثل قصص نجيب محفوظ التي تنتهي بالثلاثية المشهورة ، ومنها نقد صريح في بناء أدبي مثل الذي كتبه يوسف السباعي في قصة « أرض النفاق » ومسرحية « وراء الستار » وقصص قصيرة كثيرة ، وصور فيه بصفة خاصة مهازل الاحزاب السياسية والانتخابات والصحافة * وفعل عبد الرحمن الشرقاوي مثل ذلك في رواية «الارض» ولجأ علي احمد باكثير الى الرمز في مسرحية « مسمار جحا » اذ شبه بهذا المسمار ما كان يتذرع به الاستعمار في البقاء *

وشارك الشعر بكثير من القصائد ، ونجد التزام الشعر بالاهداف القومية في العراق أقوى وأغزر *

وفي أعقاب انفجار الثورة انطلق الادب من عقاله، وشارك في الثورة على الاوضاع القديمة وظفر باعمال كبيرة عنيت بتصوير الجو الذي نبتت فيه الثورة وبيان حتميتها عن طريق التجسيد الادبي *

من تلك الاعمال رواية « انا الشعب » لفريد ابو حديد ، ورواية « الشارع الجديد » لعبد الحميد جودة السحار ، ورواية (رد قلبي) ليوسف السباعي ، ورواية (شيء في صدري) لاحسان عبد القدوس ، ومسرحية (الصفقة) لتوفيق الحكيم ، و (المزيفون) لمحمود تيمور *

والواقع أن الكتاب القصصيين عنوا بتصوير ما كان قبل الثورة من آثار الاستعمار في فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء التوزيع اكثر مما اهتموا بما بعدها من انجازات قومية واجتماعية ومن تأثير هذه الانجازات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وصراعاتها وتطوراتها *

ومن القصص التي تناولت أحداث ما بعد الثورة او ما بعد انفجارها ــ فالثورة متجددة ولا تزال قائمة ــ عدد من الروايات ليوسف السباعي عنى فيها بتاريخ مراحلها ، منها (نادية) و (جفت الدموع) و (ليل له آخر) ، ورواية نجيب محفوظ « السمان والخريف » ورواية « لاشيء يهم » لاحسان عبدالقدوس ورواية « اصابعنا التي تحترق » للدكتور سهيل ادريس *

ولعل مشاركة الشعر في هذا المجال أكبر وخاصة شعر الاغاني ، فقد دخلت الاغنية المعركة بشكل ناضج في كثير مما قبل ، فحققت ارتقاء مستوى الاغاني الى جانب الوفاء بالاهداف القومية *

وظفرت الثورة من أجل فلسطين وابنائها المشردين بحظ كبير من اهتمام الشعراء في مختلف البلاد العربية ، سواء منهم من كان من فلسطين أو من سائر بلدان الوطن العربي *

كما ظفرت بورسعيد باهتمام كبير كذلك من جانب الشعراء *

ونستطيع القول بأن محصول الشعر الثوري فيما تلا انفجار الثورة وجهد الشعراء في هذا الميدان أوفر من المحصول القصصي * اما النقد فانه مع الاسف متخلف عن ركب الشعر والقصة لم يستطع ان ينشط بجد واخلاص للاحقته وتتبعه * ومما يلاحظ في هذا الصدد ان اتجاه معظم النقاد في الصحف الى

الكتابة عن العروض المسرحية أكثر من عنايتهم بتناول الكتابة والعمل الادبى المقروء على وجه عام . حتى لقد غدا الكتاب بالنسبة للمسرح شيئا مهملا يولد ولا يحتفى به من جانب النقد ، وان كان يشق طريقه الى القراء دون أن يعوقه اهمال النقاد .

مما تقدم تتبين ان معنى ثورية الادب فى هذه المرحلة الثورية من الحياة العربية يتحقق بالنسبة للمفهوم الثانى للادب الثورى وهو التعبير عن الثورة والمشاركة فى تغيير الاوضاع السياسية والاجتماعية، يتحقق فى هذا بشكل واضح يرجى أن يتسع ويكون اكثر وفاء بالاهداف والتطلعات اكثر مما فعل حتى الآن .

وفى الاسبوع القادم ــ ان شاء الله ــ نتابع النظر فى موقف أدبنا الحاضر من المفهوم الاول للادب الثورى .

● أعلن **الاستاذ توفيق الحكيم** استنكاره لعملية « ترجمة » مسرحياته ــ عند التمثيل ــ من اللغة العربية الفصيحة الى اللغة العامية . وكتب مسرحيته الجديدة « الورطة » بلغة قال انه حاول بها التقريب بين العامية والفصحى .. الخ .

وتتحرك ازاء ذلك علامات استفهام كى تقف وراء الاسئلة الآتية :

لماذا يوافق الأستاذ على تلك الترجمة ما دام غير راض عنها ؟ هل يرى حقا ان اللغة التى كتب بها « الورطة » تحل مشكلة ازدواج اللغة ؟

اذا كانت « دا ودى وده » تصح بدل «دا وذى وذه» فالى اى اصل فى الفصحى ترجع كلمة (يوه !) التى تكررت فى المسرحية على لسان (شوشو) فى مثل قولها : يوه ! دا قعد الليلة يبيع فينا ويشترينا .. ؟

هل مثل هذا التعبير « من الرجل دا ؟ » يقبله ذوق عامى أو عربى ؟ اليس الذوق اللغوى من دعائم التعبير الفنى ؟

اذا سلمنا بان هذه اللغة « الثالثة » حل لمشكلة الازدواج فى (ج.ع.م) فماذا عن المشكلة فى بقية الوطن العربى ؟

انى لأرى الاستاذ توفيق الحكيم عمل شيئا أكثر من أنه « وفر المبلغ » الذى كان سيأخذه المترجم من الفصحى الى العامية ..

● قرأت أنه تقرر منع استعمال الالفاظ الاجنبية فى أى مادة مذاعة وراء الميكرفون أو معروضة على شاشة التليفزيون ، وجاء فى القرار أن فى غنى اللغة العربية وثرائها ما يغنى عن استعمال الالفاظ الاجنبية الى جانب أن من مهمة هذين الجهازين اثراء حصيلة المستمع والمشاهد من الفاظ لغة بلاده .

عظيم جدا .. ولكنى سمعت بعد ذلك فى برنامج « مع النقاد » ، وهو البرنامج الموجه أو المفروض أنه موجه للادب والادباء ــ سمعت بعض النقاد يردد كلمة « التكنيك » أكثر من مرة ..

اقترح ان ينشىء البرنامج الثانى للاذاعة فصلا لتعليم نقاده اللغة العربية .. أو تنشىء الدولة للبرنامج نفسه فصلا يتعلم فيه لغة البلاد التى يمثل فيها قمة ثقافية !

❋ سكتت صحافتنا عن مؤتمر الادباء العرب الذى عقد ببغداد فى الشهر الماضى ، ومما جرى « وراء الكواليس » أن محررا باحدى الصحف الكبيرة أعد تحقيقا عن المؤتمر ، وعرضه على المشرف على المادة الثقافية فى الصحيفة ، فقال المشرف للمحرر :

اكتبه من جديد . هاجم المؤتمر ..

ــ لماذا ؟

ــ لأنه لم يمثل أدباء البلد ..

سكت المحرر الشاب وعلى وجهه علامة استفهام ، فقال المشرف :

ــ ألست أنا من أدباء البلد .. ؟ لماذا لم أدع ؟!

ولم ينشر التحقيق ..

هل كان معقــولا ان يذهب كل ادباء البلد الى المؤتمر ؟ .

● فى الوقت الذى ترفض فيه الصحف أن تنشر شيئا عن مؤتمر الادباء نراها تخصص أربع صفحات للالعاب الرياضية فى العدد الواحد .. ونرى كتابها مشغولين جدا .. بالمقارنة بين « انت عمرى » و « أنت الحب » ، ولكل من الاغنيتين أنصار يدافعون عنها ويحمون حماها ..

● قال سكرتير اتحاد الطلاب العالمى فى ندوة فلسطين العالمية : ان اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب قررت اعتبار يوم ٢١ فبراير من كل عام عيدا عالميا للطلاب ، مشاركة منه لكفاح الطلبة المصريين الذين ناضلوا فى هذا اليوم ضد معاهدة صدقى ــ بيفن .

« **عباس خضر** »

حول الأدب الزنجي

بقلم عبده بدوي

حول شعر السود في امريكا

يحس الشاعر الاسود فيأمريكا بالتفرقة العنصرية احساسا حادا لانه يرى نفسه محاصرا بعالم يضغط عليه ، ويحملق فيه باحتقار .. وهو يرى هذا الاحتقار في كل مكان يتوجه اليه ، فللبيض حق الاعتداء عليه ، وحق طرده من اى مكان لا يرغبون فيه أن يروا وجهه ، وحق حصاره في أماكن بعينها للسكنى ، ثم أخيرا حق اهدار انسانيته في بعض المناطق باللافتات التي يكتب عليها أن الزنجي والكلب يحرم عليهما دخول هذا المكان .

فالشاعر هناك لايسند حزنه الى أغلبية سوداء ، ويرى نفسه مضطرا الى أن يكون على خلاف مع الحضارة الامريكية ، والى أن يحس بالمتناقضات — احساسا مرهفا — التي تسود المجتمع هناك ، والتي يرى نفسه صريعا لبعض هذه المتناقضات ، ويرى انه يحملها كلها على ظهره حتى ولو ضحك أو غنى أو لامس النجوم .

ولعل هذا هو الذي يحزنه ، ويصرفه الى التأمل في أعماقه ، والى التنقيب في ماضيه ، ثم يجعله في الغالب صورة ملموسة للقلق والتمزق والغضب .

فهو قد يتأمل حياته كما فعل « **جورج هورتون** » فيرى انه عاش حياة ذليلة مجروحة ، وحينئذ لايملك الا أن يتوجه بالعتاب الى السماء ، ثم يتمنى الموت لانه لن يعانق اطمئنانه النفسي الا في القبر .

وقد يقدم للقارىء صفحته كما فعل « **جوزيف سيمون كوتر** » فيذكر انه لا يعتدى على احد ومع ذلك يعتدى الناس عليه ، ثم يذرف في نهاية القصيدة دمعة تقول :

وأنت يا أخي ماذا تقول للاله ؟

وقد يقارن الشاعر بين أيام الانسان في افريقية وبين الايام التي يعيشها في أمريكا مصورا الطريقة التي انتزع بها من صدر أمه الافريقية ، ومع أن السلاسل رفعت من يديه الا تلك الرائحة القديمة ما زالت تقيده هي الاخرى بالحب .

وقد يتحدث عن الغربة حديثا حزينا يكسر القلب، ويرهق الروح كما في شعر الشاعرة «**فرانسس الن هارير** » التي تقول :

« احفر لي قبرا في اى مكان شئت
في السهل الممتد أو فوق الربوة المرتفعة
احفره في أية أرض حقيرة
ولكن لا تحفره في أرض تحمل عبيدا
فلن تكون لي راحة في قبري

اذا كنت ساسمع خطى لعبيد مذعورين
فان الظل اذا ارتسم لواحد منهم على قبرى
سيحوله الى مكان مخيف !

وقد يذكر الشاعر أنه يحس انه يعيش مرتين : مرة لنفسه ، ومرة للبيض من حوله لان الحياة تجبره على مثل هذا السلوك ٠

وقد يتحول الى انسان حاقد يتمنى حين يرى القطار ذاهبا الى الشرق ، ان ينقلب هذا القطار ، وان يموت السائق ٠

وقد يرد على تجمع البيض بتجمع السود هادفا من وراء هذا الى انه يجب أن يكون هناك تضامن عام بين السود كما فى قول الشاعر « **كارلوس سانت لوس** » :

انا أحب الزنجى
فكل ما هو زنجى هو قطعة منى
فانه وان يكن حمال أثقال
وانه وان يكن من العبيد
الا اننى احبه ٠ أحب كل زنجى
ففى عذابه عذابى

وقد ينقد الشاعر وضعا اجتماعيا فيرد على القوانين التى تحتم بالا يستخدم واحد منهم فى سلك الطيران والبحرية ، الا فى وضع الخادم ، ومن هنا تكون تلك الصرخة التى تقول بأن من حق كل الناس ان يطيروا وان يحدقوا فى أمواج البحر ، ما عدا الاسود ، ومن الطبيعى ان نظرة الخادم الى الجو والى البحر تختلف تماما عن نظرة السيد ٠:

ورغم كل هذا الحزن فاننا نعثر بجهد على بعض الشعراء الذين تصالحوا مع مجتمعهم ، والذين ارتفعوا بالمشكلة الى آفاق انسانية رحبة ، كما فى قصيدة الحرية والسلام للشاعرة « **فيليس ويتلى** » التى تقول فيها :

ها هى الحرية قد أقبلت
اقبلت كما تنبات آلهة الشعر الوائقة
أقبلت تمشى فى جمال ووقار
يكلل شعرها الذهبى الزيتون وورق الغار

كما نرى هذا السلام النفسى فى قول **ويتشارد رايت** ٠

اننى أسود
وقد رأيت قبضات سودا
ترتفع ثائرة وقوية
الى جانب قبضات أخرى لعمال بيض

وسيأتى يوم
هو كل ما أعيش لأجله
يوم تلتقى فيه الملايين بالملايين
من خلال هذه القبضات السود

والى جانب هذا نرى بعض الشعراء تتمثل مأساتهم فى التعبير عن الانحلال الجنسى ، أو التحمس الهستيرى للدين ٠

ومهما يكن من شىء فالنقطة المضيئة فى هذا الشعر، هى روح المقاومة العنيدة لبقاء الانسان الاسود رغم ما يلاقى من هوان ، فهم على حد تعبير « **جان تومر** » كالموخ الناضج قد يسقط كله ويضيع ، ولكن لا بد أن تبقى «نواة» ، واحدة من كل هذا الموخ تستعصى على الموت والنسيان ،ومن ثم تعود من جديد جذرا وساقا وأوراقا وثمارا ٠

٠٠ ان بعض النقاد يؤكد أن هذه المرارة من الشعر ستختفى ، بل انها آخذة فى الاختفاء ، ولكن الذى لا شك فيه انها عبرت بصدق عن أزمة الانسان الأسود ، وعن تحدى الحضارة البيضاء له ، وعن ان هذا الانسان قد سجل هو الآخر تحديه لهذه الحضارة ، وأنه ــ وعيناه على افريقية ــ يطمع فى أن ينطلق برؤية جديدة ترتكز فى أول الأمر على الحضارة الافريقية ، التى شوهت فى الماضى ، والتى تقدم الآن بحذر وخوف ، كأن فى اضافة حضارة جديدة مايؤرق الحضارتين اللتين تتنازعان العالم اليوم ٠

حول التراث العربى

لو سألنى أحد لماذا وقع قلمك على هذه المختارات لما ترددت فى أن أقول : ان مابهرنى منها هو أنى لم أسمع فيها صوتا ناحلا وحيدا هو صوت الشاعر فقط ، وانما سمعت عدة أصوات متداخلة ، لعل صورة « العازف المنفرد » تقربها منا ، فهو وان كان يعزف وحدة على آلة منفردة الا أن خلفية الأوركسترا تظل دائما فى خدمته ٠

ولعل « الخلفية » هنا فى الأبيات المختارة للأعشى هم الناس الكثيرون الذين أشركهم معه فى معاناة الليل ٠٠ وفى أبيات عمر بن أبى ربيعة هما الفتاتان اللتان أعطتا للقصيدة نكهة لا تقل عن النكهة التى أحدثتها البطلة الرئيسية ٠٠ وفى أبيات ابن الرومى هما الخليلان اللذان حرص الشاعر على الا يسرق منهما « الكاميرا » فى المناظر التى أخذت فى منطقة الصيد :

ولعل الخلفية ـ كذلك ـ فى أبيـــات مهيار عن هؤلاء البدويات اللاتى يشـــاركن حبيبته ـ التى ينادمها والخوف ـ فى كثير من الملامح والصفات !

هل ترانى اريد ان اقول ان الشعر الذى يقرب من التركيبة القصصية ومن التركيبة الموســيقية الحديثة هو الذى يبهرنى ؟ ان كان هذا هو ما حاولت الاقتراب منه ٠٠ فما أحسبنى ـ فى نظرى ـ قد اخطات ٠

ميمون بن قيس بن جندل (الأعشى) والليل

وليـــل يقـــول القـــوم من ظلمـــاته
« ســـواء بصـــيرات العيون وعورهـــا
كان لنـــا منـــه بيـــوتا حصـــينة
مسوحا أعاليهـــا ٠ وساجا كسورها ! »
٠٠ تجـــاوزته حتى مضى مدلهـــمه
ولاح من الشـــمس المضـــيئة نورهـــا

عمر بن ابى ربيعة والمجاهرة

قالت لتربيهـــا بعمركما
« هل تطمعان بان نرى عمرا؟
انى كان النفس موجسـة
ولذاك اطمـع أنه حضرا »
فاجابتاهـــا فى مهازلة
واسرتا من قولهـــا سخرا
« انا لعمرك ما نخاف وما
نرجو زيارة زائر ظهـــرا
لو كان ياتينا مجـــاهرة
فيمن ترين اذن لقـــد شهرا »
قالت لها الصغرى وقد حلفت
بالله « لا ياتيكما شهرا »
فتنفست صـــعدا لحلفتها
وهوت فشقت جيبها فطرا
وجرت مآقيهـــا بادمعهـــا
جزعا وقالت «حب من ذكرا
يارب انى قد شـــغفت به
أعقب فؤادى منهم صبرا »
« بينا تحاورهن قمت الى
اقفائهن لأســـمع الحورا
فاراب احداهن ٠٠ فالتفتت
وطنى ٠٠ فلما أثبتت نظرا

قالت لهن « أخو مجاهرة
قد جاءنا يمشى وما استتراء
فيهن خود لست ناسيها
حتى تجاوز حفرتى حفرا !

ابن الرومى وصيد الطير

وقد اغتـــدى للطير والطير هجع
ولو أوجست مغداى ما بتن هجعـــا
بخلين تمـــابى ثـــلاثة اخـــوة
جسومهم شـــتى وأرواحهم معـــا
مطيعين اهـــواء توافت على هـــوى
فلو أرسلت كالنبل لم تعـــد موقعا
اذا ما دعـــا منـــا خليـــل خليله
« بافديك » لبـــاه مجيبـــا فاسرعا
كان له فى كل عضـــو ومفصـــل
وجارحة ٠٠ قلبـــا من الجمر اصمعا
فثـــاروا الى آلاتهـــم فتقـــلدوا
خرايط حمـــرا تحمل السم منقعا
محمـــلة زادا خفيفـــا منـــاطه
من البنـــدق الموزون قل واقنعـــا
وقد وقفوا للحائنات وشـــمروا
لهن الى الأنصـــاف ساقا واذرعا
وجدت قسى القـــوم فى الطير جدها
فظلـــت ســـجودا للرماة وركعا
فظل صـــحابى ناعمين ببؤســـها
وظلت على حـــوض المنيـــة شرعا
طرايح من ســـود ، وبيض نواصع
تخـــال أديم الأرض منهن ابقعـــا
نؤلف منهـــا بين شـــتى ، وانمـــا
نشـــتت من الافهـــا ما تجمعـــا
فكـــم ظاعن منهن مزمع رحـــلة
قصرنا نواه دون ما كان ازمعـــــا
وكـــم قادم منهـــن مرتاد منـــزل
أناخ به منـــا منيخ فجعجعـــا
كان بنـــات الماء فى صرح متنه
اذا ما علا روق الضحى فترفعـــا
زرابى كسرى بثهـــا فى صحـــانه
ليحضر وفدا ، أو ليجمع مجمعـــا

مهيار الديلمى
والحب والشيب والمرارة

مهيار الديلمى
والحب والشيب والمرارة

اذا نهض الجـــارات أبطأ دعصهـــا
بنهضتهـــا ، حتى يخف قضيبهـــا

تبسم عن بيض ضـــوادع فى الدجى
رقـــاق ثناياها ، عـــذاب غروبهـــا

اذا عـــادت المســـواك كان تحيـــة
كأن الذى مس المســـاويك طيبهـــا

وكم دون هنـــد رضت من ظهر ليـــلة
أشـــد من الأخطار فيها .. ركوبهـــا

فنادمتهـــا والخوف .. تروى عظامهـــ
ـــا المدام .. ويروى بالبكاء شربها

اذا شربت كأســـا : سقتنى بمثلهـــا
من الدمع ، حتى غاض دمعى وكوبهـــا

حمى الله بالوادى وجوهـــا كواســـيا
اذا أوجـــه لم يكس حســـنا سليبها

بوادى .. ود الحاضرون لو انهـــا
مواقـــع مـــا القت عليـــه طنوبهـــا

اذا وصف الحسن البيـــاض تطلعت
سواهم . يفدى بالبياض شحوبهـــا

ولله نفس . من نهـــاها عذولهـــا
ومن صـــوتها ـ يوم العذيب ـ رقيبهـــا

لـــكل محـــب يـــوم يظفر ريبـــة
فسل خلواتى : هل رأت ما يريبها ؟

اذا اختلطت لـــذات حـــب بعـــاره
فانهمـــا عندى الذى لا اصيبهـــا

وســـاء الغوانى اليوم اخـــلاق ولمتى
فهـــل كان ممـــا سرهن فشـــيبها ؟

ســـواء عليها كتهـــا وتـــسيلها
وناصلها من عفتى وخضـــيبها

وتعجب ان حصـــت قـــوادم مفرق
واكثر افعـــال الزمـــان عجيبهـــا !

ومن لم تغـــيره الليـــالى بعـــده
طوال سنيهـــا غيرته خطوبهـــا

اذا ســـل سيف الدهـــر والمرء حاسر
فاهـــون ما يلقى الرءوس مشيبهـــا

يعـــدد اقـــوام ذنوب زمانهم
فمن لى بأيام تعـــد ذنوبهـــا

يقولون : دار النـــاس ترطب اكفهم
ومن ذا يدارى صـــخرة ويذيبهـــا ؟

وما أطمعتنى أوجـــه بابتســـامها
فيؤيسنى ممـــا لديه قطوبهـــا

وفى الأرض أوراق الغنى لـــو جذبتهـــا
لرف على أيدى النـــوال رطيبهـــا

اذا ابل امســـت بعـــاطل رعيهـــا
فهـــل ينفعنى من بـــلاد خصيبهـــا ؟

والآن

لعل سائلا يسأل ما الذى عاد بك الى افريقية ؟ وهل ما تقـــول الآن هو نوع من الحنـــين لأيام ودراسات بذلت فى هذا المجال ؟ وليس هناك من جواب الا أن افريقية كانت دائما فى حبة قلبى ، وانها كما تعانى من التحديات الحضارية تذكرنى بالعالم العربى اليوم الذى يقتله البعض عن طريق الكلمة ، ويدمـــره عن طريق الحمـــاس لبعض الايديولوجيات التى لا تصلح تماما او لا يصلح الا جانب منها لحياتنا المعاصرة .

ومن هنا يجب أن يتعـــارف العـــالمان الآسيوى والافريقى ، وأن يفتح كل منهما نوافذه على الآخر بدون حدود ، وأن تكون عند كل منهـــما الصبوة والحماس والرغبة فى العثور على مرتكزات فكرية جديدة ، ليعيش الانسان فى هذين العالمين حيـــاته بدلا من أن يعيش حيـــاة المواطن فى امريكا او روسيا ، ثم يمضى بدون أثر وبدون دموع .. ففى حياتنا الآن من يتحـــدث عن المسيسبى والفولجا ، ومن يقلد الحياة حول هذين الرافدين دون أن يعرف أسرار النيل والنيجر ، بل لو حدثته عن حياة الناس حول هذين النهرين للوى وجهـــه عنك ، أو لظل يصغى بوجهه ، أما قلبه فبعيد .. بعيد !

ولكن الأمل كبير فى الذين يثقون فى حضاراتهم ، والذين يفضلون العطاء على الأخذ ، والذين يكثرون يوما بعد يوم .

« عبده بدوى »

علوم

البحث العلمى ... بين غزو الفضاء وأعذاب ماء البحر

للدكتور عبد الحليم منتصر

يتساءل كثير من الناس لم هذا الجهد ، الذى يبذله العلماء فى سبيل ارتياد الفضاء ، ولم هذا الانفاق الهائل ، الذى تنفقه الدولتان اللتان تستبقان فى غزو الفضاء ، واكتشاف حجبه ، وكشف اسراره ، ولم هذا التصعيد فى الطبقات العليا للفضاء العريض ، وماذا بعد اقامة محطات الفضاء ، والوصول الى القمر او المريخ ؟ وايهما اجدى على الانسانية : أن يتجه البحث العلمى ، نحو اعذاب ماء البحر ، حتى يروى الصحارى ، فتزرع ملايين الافدنة ، لتنتج المحاصيل من غلات وخضروات وفاكهة ، فتطعم هذه الاعداد المتزايدة من السكان ، او ان نتابع بحوث الفضاء الباهظة النفقات خاصة وانه من المشكوك فيه ان تصل فى امرها الى نتائج مرضية قريبة .

ويتساءل كثير من الناس ، هل يستطيع الانسان أن يقيم حضارة على القمر او المريخ ، كتلك التى اقامها على الارض ، ان العلماء انفسهم ليقولون ، ان حياة كتلك التى نحياها على سطح الارض تبدو مستحيلة على القمر او المريخ ، لأسباب كثيرة يذكرونها ، من ارتفاع أو انخفاض فى درجات الحرارة عن الحد الذى تحتمله الكائنات الحية التى نعرفها على الأرض من نبات او انسان او حيوان ، او من انعدام او قلة فى الماء او الهواء ، او وفرة او نقص شديد فى غاز ثانى اكسيد الكربون او ندرة غازات ضرورية ، او وفرة غازات ضارة ، الى غير ذلك من أسباب ليس الى حصرها من سبيل . وذلك فضلا عن صعوبة السفر ، وكثرة التكاليف ، وتعرض المسافر فى مراكب الفضاء الى اخطار كثيرة ، منها ما قد يتعرض له من درجات حرارة مسرفة فى الارتفاع ، فضلا عن اختراق طبقات الفراغ المطلق وانعدام الوزن ، واحتمال تغيير المركبة مدارها فتتعرض للاحتراق . ولا شك ان الاحتراز من هذه الاخطار جميعا ، هو ما يسعى العلم جاهدا الى تحقيقه لتأمين السفر ، وان ذلك ليحتاج الى نفقات باهظة جدا .

والذى لا مراء فيه ان بحوث الفضاء باهظة النفقة كثيرة الكلفة ، وتقدر نفقات هذه البحوث بالوف الملايين من الجنيهات ، منذ اطلقت روسيا قمرها الصناعى الاول فى اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، وان روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية ، لتتباريان فى اطلاق الاقمار والصواريخ وسفن الفضاء ومراكبه كأنهما فرسا رهان ، وانهما ينفقان على بحوث الفضاء فى سبيل تامين اسفاره ، وخفض نفقاته ، وتحسين وسائله ، وتجديد وقوده ، وزيادة سرعته ، والحفاظ على سلامة ركابه ، وتجميع المعلومات والبيانات عن الطبقات المتباينة والاشعاعات المختلفة التى تزخر بها طبقات الفضاء ، كما يأخذ العلماء آلاف الصور والرسوم لسطح القمر ، او الزهرة او المريخ من الكواكب التى تحوم حولها سفن الفضاء واقماره لتلتقط الصور وتسجل البيانات والرصدات المختلفة قبل أن تحط عليها .

ومنذ صعد يورى جاجارين بسفينته فى الثانى

عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ، وطوافه حول الأرض ، وسفن الفضاء يتزايد عددها ، ويتضاعف حجمها ووزنها كما يتضاعف عدد ركابها ، ثم كانت تجربة روسيا الاخيرة فى الثامن عشر من مارس سنة ١٩٦٥ حين صعد رجلان فى مركبة واحدة الى ارتفاع نحو خمسمائة كيلو متر ثم خرج احدهما من المركبة ليسبح فى الفضاء العريض ، حيث الفراغ المطلق ، وحيث منطقة انعدام الوزن وانه ليبقى كذلك نحو عشر دقائق ، ثم يعود الى مركبته، ويغلق بابها من خلفه ، ثم ينزل وزميله سالمين الى سطح الأرض . مما اثار دهشة العالم اجمع ، ومما استحق العلماء الروس التهنئة والتقدير من أجله، لما لهذا النجاح المنقطع النظير من أثر ، ولما له من دلالة اكيدة على تقدم بحوث الفضاء نحو تحقيق الهدف المنشود من الوصول الى القمر أو الكواكب، ومن زيادة معلوماتنا عن الأجواء العليا ، ومن تصحيح ما لدينا من معارف عن شئون الفضاء تمهيدا لغزوه ولبسط سلطان الانسان عليه .

ولننظر الآن ماذا عسى أن تكون البحوث العلمية الخاصة باعذاب الماء أو تعذيبه اى تحويل ماء البحر الملح ، الاجاج ، الى ماء عذب يروى الزرع ويسقى الضرع .

ولا مراء فى أن توفير الماء العذب لرى الأرض لحاجات الزراعة وانتاج المحاصيل من أهم المشاكل التى تواجه الانسان فى العصر الحاضر ، خاصة وأن عدد السكان يتزايد بدرجة مخيفة ، ولذلك تستبق الدول الى حل هذه المشكلة ، وتوجيه البحث العلمى نحو تحويل الماء الملح فى البحار والمحيطات الى ماء عذب . وتحتضن الدول والحكومات مثل هذه البحوث ، وتنفق عليها بسخاء ، ولعل النجاح فى مثل هذه البحوث يكون أجدى على الانسانية من النجاح فى بحوث الفضاء ، ومحاولة الوصول الى القمر والمريخ ، واقامة حياة هناك ، ان صح أن العلم سينجح فى اقامة حياة على الكواكب والأقمار ، اذ الواقع أن نسبة كبيرة من الاراضى ما تزال صحارى لا تستغل بسبب عدم توافر ماء الرى .

وان نظرة الى وطننا الممتد من الخليج الى المحيط ، لتبين أن أكثر من تسعة اعشار مساحته ، صحارى قاحلة ، اذ أننا فى الواقع سكان صحراء ، وانما تقل الأرض الزراعية مساحات قليلة تمتد على ضفافى الأنهر وفى دلتاها ، فماذا لو اتجهت الهيئات العلمية فى الدول العربية ، نحو تمويل مشروعات البحث العلمى فى اعذاب ماء البحر .

ولتحويل ماء البحر الى ماء عذب طرائق معروفة ، لعل أكثرها استعمالا ، يكون بالتقطير العادى ، وقد اشتهرت بلاد **كثيرة باقامة محطات تقطير ضخمة لعل اضخمها ما اقامته** دولة الكويت فى عاصمتها الكويت ، اذ أنها تقطر يوميا ما مقداره نحو ستة ملايين جالون ، عدا محطة أخرى فى « الأحمدى » ، تقطر نحو مليونى جالون يوميا . وهى تستعمل لذلك الوقود العادى وهو باهظ النفقة ما يزال . وتستعمل الكويت هذا الماء المقطر للشرب فقط اغلب الأمر .

وهناك طريقة استغلال الطاقة الشمسية فى تبخير ماء البحر وتكثيفه ، وتبنى لذلك أحواض خاصة تغطى بطريقة معينة ، بشرط أن تجمع الأشعة الشمسية جمعا يرفع من حرارة الماء ، فيتبخر ليتكاثف على سطح الغطاء المائل ، وانه ليتجمع فى احواض خاصة ، ماء عذب ، صالح للشرب والاستغلال ولكن الكمية المقطرة بهذه الطريقة ليست كبيرة ، ومن هنا كان استغلالها محدودا وللضرورة القصوى . وهى على كل حال تستعمل فى الهند فى الوقت الحاضر .

اما استغلال الطاقة الذرية فى اعذاب ماء البحر ، فتعتبر احدث هذه الطرائق وان كانت باهظة النفقة ، وتقام من أجل ذلك مفاعلات القوى ، التى يستخدم فيها الوقود الذرى ، لتبخير الماء وتكثيفه .

وقد شرعت الجمهورية العربية المتحدة فى تنفيذ هذه الطريقة ، وطرحت فعلا مناقصة اقامة مفاعل قوى فى منطقة برج العرب وسيوفر هذا المفاعل الماء العذب لرى ألوف من الأفدنة فى هذه المنطقة. ولعل متابعة البحث فى هذا السبيل تقلل من نفقات هذا الاعذاب الذرى ، وان يتوافر لها الوقود النووى ومن الاهمية يمكان تدريب جيل من الباحثين للعمل فى هذا المجال يكتسب خبرة

ومرانة على استعمال الوقود النووي والأجهزة الذرية . وقد يغدو في الامكان استعمال مثل هذا المفاعل لأغراض أخرى كانتاج الكهرباء ، وبذلك تقل النفقات المحسوبة للاعذاب .

وهناك بحوث اخرى تجرى في هذا المجال ، وانها لتهدف أيضا الى اعذاب ماء البحر بطريقة كيميائية ، وذلك بطريقة تشبه ما يجرى داخل الخلايا والانسجة الحية وما يسمى عادة بالاسموزة، فتستعمل أغشية تنفذ الماء وحده دون ما هو ذائب فيه من أملاح وتعرضه لضغط يساوى أربعة وعشرين ضغطا جويا . وقد حسب نظريا أنه يمكن الحصول على متر مكعب من الماء العذب من ماء البحر ، يبذل طاقة تساوي ٧و ٠٠ ك ٠ و ٠ س واختير لذلك غشاء من خلات السليلوز ، وان يكن ليس وافيا بالغرض تماما ، كما حسب أنه يلزم نحو مائة ضغط جوى لانتاج ٣٧٠ لترا من الماء العذب خلال غشاء مساحته متر مربع في اليوم ، ومع ذلك فان الماء الناتج ليس خاليا من الأملاح تماما ، ثم ان الأغشية لا تتحمل العمل لأكثر من أسابيع قليلة .

وهناك بحوث تستهدف استخدام مركبات خاصة ، فان « البروبان » اذا دفع تحت ضغط يساوى ثلاثة ضغوط جوية في الماء الملح ، وفي درجة حرارة ٥ر٦ م فوق درجة التجمد فانه يتكون جسم صلب به ١٧ جزيئا من الماء وجزء واحد من البروبان وينفصل الملح ، ويمكن الحصول على الماء العذب من الجسم الصلب ، وتحتاج هذه العملية الى طاقة تساوى من ٣ ـ ٥ر١٢ ك ٠ و ٠ س. لكل متر مكعب من الماء العذب ، فهي باهظة النفقة كذلك

وهناك طريقة تبدو غير عملية نوعا **هي التجميد،** وذلك لان الحرارة الكامنة صغيرة ويلاحظ ان العمليات التى تستلزم درجات حرارة منخفضة لا تعانى من مشكلات التآكل وقد قدرت الطاقة اللازمة لعملية التجميد بما يساوى ١٢ ك.و.س. لكل متر مكعب من الماء العذب .

واذا لم ندخل في حسابنا التبادل الحرارى ، فان الطاقة اللازمة للماء المقطر تساوى ٧٠٠ ك.و.س. لكل متر مكعب من الماء العذب ، اما اذا ادخل التبادل الحرارى في الحساب فان هذا الرقم يهبط الى ٧٠ ك.و.س. ويمكن ان يهبط الى ما دون ذلك بتحسين المعدات والأجهزة وهي نفقات باهظة جدا ماتزال .

ومن ذلك نرى ان تحويل الماء الملح الى ماء عذب يتوقف الى حد كبير على مايتفق على الطاقة اللازمة لهذا التحويل ، وقد ادخلت تحسينات كثيرة على مفاعلات القوى فاذا زيدت طاقتها قلت النفقات ، واذا امكن الحصول على كهرباء بالاضافة الى اعذاب الماء ، فان نفقات التحويل تقل كثيرا ، وقد تهبط نفقات المتر المكعب من الماء العذب الى نحو خمسة وعشرين مليما واذا عرفنا ان النفقات المعقولة لانتاج المتر المكعب من الماء العذب انما هي بضعة ملاليم ، كان علينا ان نتابع البحث لخفض نفقات الاعذاب . لنبلغ هذا المستوى ، وبذلك يمكن ان نزيد في مساحة الأرض المنزرعة باضافة ملايين من الأفدنة من الأراضي الصحراوية ، تحل مشكلة تغذية السكان الذين يتزايد عددهم كل يوم .

ومع هذه الفوائد الملموسة لاعذاب ماء البحر ، ارجو ألا تتوقف بحوث غزو الفضاء كذلك لما في ذلك من اثراء للمعرفة البشرية عن هذا الكون العريض الذى أبدعه البارى سبحانه وحضنا على التفكير فيه ، ولعله سبحانه ان يهدينا الى كشف مزيد من المعارف عنه ، وان يوفقنا في الوقت نفسه الى حل مشكلة اعذاب ماء البحر ، وعلى الله قصد السبيل .

د. عبد الحليم منتصر

الكتب تقدم وتعرض

أنغام حالمة

ديوان روحية القليني

بقلم: العوضي الوكيل

هذا ديوان جديد للشاعرة « روحيـة القليني » تقدمه الأميرة الأديبة « دينا عبد الحميد » فتقول في التقديم بعد سطور :

« والمرء عندما يستعرض تاريخ الشعر العربي ، ويتطلع الى مستقبله يرى أن شعر روحيـة القليني ومعاصراتها من اديباتنا في البلاد العربية سوف يستشهد به كانموذج حي للفكر العربي في ايامنا ولموقف المرأة العربية وروحها المتوثبـة » والأميرة الأديبة تؤكد بهذا ما قررته في مقالات كتبتها انا في « الرسالة » وفي كتابي « قيم ومعايير » من أن المرأة الحديثة قد اخذت مكانهـا في ديوان الشعر العربي الحديث بغير منازعة ، وانها قررت وجودها في المجال الشعري تقريرا لا مجال للمحاجة فيه .

وحديثي اليوم عن هـذا الديوان حديث موجز ، واريد به أن أتناول السمات العامة في شعر روحية القليني ، وأولها « المصارحة » ، فروحية لا تلبث أن تأنس بقارئها وتشعر بالمشاركة الوجدانية بينها وبينه فتفتح له نفسها ثم تأخذ في الحديث معه بلا حرج ، ولمـاذا تتحرج ؟ وقارئها صديق مؤنس أو حبيب ودود ...

اني أعيش بافـكاري وعاطفتي
في زورق الحب في بحر المتاهات
العقـل يدفعني للشط آمنة
والحـب يغري فؤادي باندفاعاتي
من ذا الذي لدموع العين يفهمها
أمن هنائي جرت أم من صباباتي
والسر في الصمت اعراضا سيحسبه
ام من حياء وشت بالسر وجناتي
وقلبـه لي أنا وحدي فيسعدني
أم هل ينقله بين الجميلات
وهـل يبادلني حبـا كعاطفة
قد صنتها للذي يرعى المصونات
اذا ما سـهرت الليـالي وحيـده
وليـلي بذكراك يتلو نشيـده
فـآهة قلبي تهـز كيـاني
وحبي يصـارع روحي العنيـده
سالقاك ابسم رغم احتمالي
وحسبي ظنـك أني سـعيده

وثاني سمات الديوان « الانتظار » والتفكير في النائي الذي سـيعود أو المجهول الـذي سيعلم أو الغائب الذي سيحضر ، وقد ملأ الانتظار ما بين دفتي الديوان حتى أوشك أن يقف مع المصارحة جنبا الى جنب في معظم صفحاته .

انها في قصيدتهـا الموسيقية المترنمة « موعد » تتحـدث عن الغـائب الذي واعدها ثم لم يأت في موعده ، تقول :

انا يا حبيبي هنـا انتظر
ولم تأت في الموعد المنتظر
ومن شرفتي أرقب العائدين
يدق فؤادي ، أطيل النظر
لعـلك تخطـر في طلعـة
كضوء الصباح اذا ما سفر؟
وفي لهفة من شعور المحب
يموج خيالي بشتى الصور
تطـول الهواجس في حيرة
أقول ترى حبه قد فتر ؟

ومن شرفتي أرقب العائدين
لعـــل برؤيا حبيبي أقر ؟

ثم يجيء المنتظر ، ويصدق الأمل
وبينـــا أنا في زحام الهـواجس
راسي يـــكاد اسى ينفجــر
اطـل الحبيب على حينـا
بوجه جميل المحيـا أغر
فتحت له البـاب في لهفة
ولم أدر كيـف وماذا أسر
وقبـل كفي في نشـوة
وقال أجـل غبت ثم اعتذر
على الرغم مني تأخرت عنك
وعندك يحلو الهوى والسهر

وفي قصيدتهـا « قبل الموعد » تحدث صـديقتها فتسألهـا عن أحسن ثوب ترتديه وهي في انتظـار الحبيب ، ذلك الثوب الذي سيظهر فتنتهـا فتجذبه اليها ـ وهذا تعبيرها :

اختـــاه قولي اى ثو
ب من ثيـابي ارتدى
ماذا ســـيظهر فتنتي
لمـــا اروح واغتـدى
انت الخبيرة بالهـوى
وانا بذوقك أهتـدى
ماذا بحقك قد صنعـ
ـت لتجذبيه فاقتدى
قد حان موعده .... الخ .

ثم يلبس الانتظـار صـورة أخـرى في قصيـدة « الربيع » فتقول :

كل الف لاليـف قـد عفـــا
وارتدى في الروض فتان الحلل
ومضى الالفان في روض الهوى
وانا في وحدتي حيرى أضل
آه من قلبي وقد عـز اللقـــا
آه من جفني فبالسهد اكتحل
عشت بين الناس فكرا حائرا
وطيوفا تتراءى في المقـل
التى قيثـــارة أوتـــارها
عازف اللحن طواها وارتحـل
وقصيد شـاعر الحب بها
ترك الأبيـات لمـا تكتمل
عاد للنـــاس ربيـع حافل
وربيعي بالأماني لم يطل
وطويت الليــــل سـهدا وأسى
أسأل النجم متى يأتي ؟ لعل !

وها هـو ذا الانتظـار يأخذ صـــورة جديدة في قصيدتها « سأصفي لقلبي » :

أعيش بقلبي على ضـــفة
وأنت على الضـفة الثــانية
فهل نلتقي بعد طول الغياب
وتجمعنـــا اللهفـة الحانيـه
وبيني وبينـك بحر عميق
وليـــل بلا أنجــم هاديه

ثم يجيء الحديث عن سمة الديباجة العربية المشرقة والأسلوب العربي الرصين وروحيـــة تحتفل باختيار كلماتها احتفـالا ، ولكنها مع هـذا تسهو أحيانا ، فتدخل على الأسلوب العربي والألفاظ العربية ما ليس منها ، ولـكن ذلك يقـع نادرا حتى يوشك أن يعز التمثيل له ، ويبقى التمثيل لحسن الديباجة وصفاء الأسلوب واجبا ، وليكن التمثيل هنا لجانب القومية والوطنية وهو ما لم تتحدث عنه من قبل :

قالت تحت عنوان « في ظل الاشتراكية ، وعادت الأرض » :

حتى اذا طالع الدنيا صباح منى
وانهـل غيـث على جـدب يرويه
والاشتراكية « السمحاء » قد بعثت
سخية الـكف فاخضرت مراعيـه
والشعب في موكب التحرير تحكمه
روح العدالة والقرآن هاديه
لا فـرق بين فقيـر أو ربيب غنى
لا شيء غير كفـــاح المرء يعليـه
والمرأة اشتركت ترسي قواعدنا
مع الرجال بصـف عاش راعيـه
ولفظ « السمحاء » لا تعرفه الفصيحة .

خلاصة الرأى أن هذا الديوان قد صدق في التعبير عن صاحبته ونقل عن وجدانها نقـلا صحيحا مؤديا أمانته في تصوير مشاعرها وذلك في صور من البلاغة العربية صحيحة .

العوضي الوكيل

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

● **التخلف والاشتراكية فى العالم العربى**

تاليف : د. جلال يحيى

الناشر : دار المعارف ــ القاهرة

المؤلف فى هذا الكتاب يحاول تاكيد معنى أن النهضة الحديثة والحركات الثورية فى كثير من بقاع العالم العربى دلت على وعى الشعوب العربية بسوء أحوالها وتصميمها على التخلص من الامراض الاجتماعية ، ورغبتها فى العمل من أجل رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، وازاء تحررها سياسيا ، وجدت نفسها مضطرة الى التحرر اقتصاديا لتصل الى التحرر الاجتماعى ، مستعدة للتخلص من الراسمالية التى تقف عقبة فى سبيل تطوير المجتمع العربى ووصوله الى مرحلة التصنيع ، وليس معنى التخلى عن النظام الرأسمالى ارتماء العالم العربى بين احضان الاشتراكية المادية ، فان هناك قيما معنوية ودينية لها عمقها واحترامها ، وهناك قيمة الفرد ، كفرد وبشر وانسان ، ولم يقتنع بعد بانه آلة او جزء من آلة .

هذا وقد قسم المؤلف دراسته التى وقعت فى ثلثمائة واربعين صفحة من القطع الكبير الى قسمين: القسم الأول هو التخلف ، وجاء فى اربعة فصول ، التخلف فى المشرق العربى (اليمن ، العراق ، سوريا ، فلسطين والاردن) ، والتخلف فى المغرب العربى (ليبيا . تونس الجزائر . مراكش) . والتخلف فى وادى النيل (مصر . السودان) ثم النظم الاقتصادية فى البلاد العربية وموقف الاستعمار من نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما فى القسم الثانى فقد تناول الحلول الممكنة ، وقد جاءت فى أربعة فصول أيضا : الراسمالية ، نشأتها وخصائصها واخفاقها ، والاشتراكية واصولها ومدارسها ، ورواد الفكر الاشتراكى ، والاشتراكية المادية ، ثم الاشتراكية كبديل للراسمالية .

● **حقائق الاسلام واباطيل خصومه**

تاليف : المرحوم عباس محمود العقاد
الناشر : دار الهلال

هذه طبعة جديدة قدمتها أخيرا دار الهلال بالقاهرة فى سلسلة كتاب الهلال، بعد أن نفدت طبعات المؤتمر الاسلامى ، وقد جاء الكتاب فى هذه الطبعة فى اكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الصغير ، بمقدمة السيد أنور السادات .

وقد تناول المرحوم الاستاذ العقاد فى فاتحته لكتابه شبهتى الشر والخرافة ، ثم قسم دراسته التى هى على جانب من الاهمية ــ الى أربعة فصول :

العقائد ، حيث تناول العقيدة الالهية ، وعقيدة النبوة ، والانسان والشيطان والعبادات، والمعاملات، والحقوق ، حيث تناول الحرية الاسلامية ، والامة والاسرة وزواج النبى والطبقة، والرق وحقوق الحرب وحق الامام ، أما الفصل الرابع ، فقد تناول العقاد فيه الاخلاق والآداب ، ورد الشبهات التى أثارها الحاقدون على الاسلام حول النقائض المزعومة فى الاخلاق والآداب الاسلامية .

هذا وكتاب العقاد عرض للاسلام فى حقيقته الخالصة الصافية ، ، ثم دفاع عنه فيما أثير حوله من غبار المتشككين والمبشرين والمستشرقين الذين تحركهم الأهواء .

***

● **تاريخ مسلمى اسبانيا**

تاليف : ر. دوزى

ترجمة د. حسن حبشى

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى

هذا هو الجزء الاول من أجزاء الكتاب الاربعة ،

والمؤلف هو المستشرق الهولندى رينهرت دوزى الذى ولع بدراسة العرب والمسلمين فى أسبانيا على وجه الخصوص ٠

***

وهذا الجزء تناول المؤلف فيه الحروب الأهلية فى أسبانيا ، فعرض للعرب فى الجاهلية ، وطبيعتها ، وحرب الخلافة ، والعصبية القبلية ، واستقرار العرب فى أسبانيا ، وحركات عبد الرحمن الداخل ٠

الحق أن المؤلف ـ كما أشار فى مقدمته ـ قدم دراسة دقيقة عميقة ، ولم يكن كل همه أن يصحح بعض الحوادث المشوهة هنا وهناك فى أعمال من تقدمه ، ولكنه أخذ الأشياء من جذورها ، وأحيا تاريخ المسلمين بالاندلس لاول مرة ، فقد درس الموضوع من جميع نواحيه ، ولم يدخر وسعا فى اكساب تاريخ المسلمين بالأندلس درجة من الثقة التى عمل على توفيرها له ٠

ويقع هذا الجزء فى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ٠

***

● **التفكير عند الانسان**

الناشر : المكتبة الثقافية

تأليف : د٠ احمد فائق

هذا الكتيب الذى يقع فى زهاء مائة وثلاثين صفحة من القطع الصغير ، هو حلقة من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة بوزارة الثقافة والارشاد القومى ، وأرادتها أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة ٠

يناقش المؤلف معنى التفكير ، فالتفكير كلمة تدل على أكثر من قصد ، فأحيانا نستعملها لتدل على كل ما يدور فى الذهن ، وأحيانا أخرى تستعمل فى حدود ضيقة ٠

ثم يعرض المؤلف للوجدان والتفكير ، وكيف أنه يعرض لنا خاصية عامة فى التفكير الانسانى السوى ، وربما أوضحت لنا بصورة أضخم الفرق بين السواء والمرض فى نطاق أعم ، والتعرض لهذا الجانب يفيدنا فى تمييز أنواع من المرض النفسى تختلف فيما بينها بصورة لاتقل وضوحا عن اختلاف المريض عن السليم ٠ وقد تناول المؤلف تفكير الطفل فى سنته الثانية وفى سنته الثالثة « عقدة أوديب » وتفكيرنا وكيف يسلم من المرض ٠

ثم عرض المؤلف للتفكير والاحلام ، فتناول الحلم والمرض النفسى ، وكيف يمرض تفكيرنا ، والعقدة النفسية ، وطبيعة المفاهيم فى المرض النفسى ٠

***

● **رسالة الاسلام الى الشباب**
محمد عبدالرءوف بهنس
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

ذكر المؤلف أن ما دفعه الى تاليف هذا الكتاب أن بعض زملائه قدموا له شيئا من عناصر العقيدة ، ثم طلبوا اليه الادلاء برأيه فى هذه العناصر ، ومن ثم كان هذا الكتاب ، الذى تعرض لحرية الفكر والرأى والعقيدة فى الدين ، كما تعرض للاسلام والعلم ٠

وكيف أن الاسلام لا يقبل شيئا الا ببرهان ، وكيف أن العمل ينمى العلم ، وأخيرا تعرض للتكاليف الاسلامية ٠

والكتاب بهذه الصورة يقدم جوانب من حقيقة الاسلام ، ويستطيع أن يخدم الناشئة عن طريق تحريك عقولهم ٠

***

● **لا تقول وداعا**
للشاعر رفعت الشيخ
مطابع ابن زيدون بدمشق

يهدى الشاعر كتابه الى الذين يرتلون أغنية الحب الأبدية فى معبد الحرمان ، والذين يهيمون فى فيافى الضياع ، ويحتضر فى أعصابهم الأمل ، وكما يقول عنه محمد كناكرى ٠٠ « واستهوته حرفة الحرف فاوغل فى مجاهل دروبها ، تارة تتنكر له نفسه فيتكر عليها حقيقتها التى تعكسها له صفحة العطاء ، وطورا يرسم دون عناء ظلا حالما للشفق ، تصبو اليه العيون والظماء للجمال ٠٠ والشاعر من الشعراء الشبان الذين يغنون للحب وللحياة ، ولكل شىء من حولهم ٠

« **احمد الصادق عبد الصمد** »

قراءات في المجلات العربية



يقدمه : محمد العوانى

● مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكى

تحت هذا العنوان يتابع الأستاذ «يحيى ابو بكر» مقالاته المسلسلة فى مجلة الثقافة وقد بين فى مقاله المنشور فى العدد التاسع والثمانين منها «أن الاشتراكية كما دعا اليها جمال عبد الناصر لا بد أن تكون ثورية ، والدافع اليها لا يكمن فى التناقضات التى عانى منها الشعب المصرى ، وفى مقدمتها سوء توزيع الثروة وقصور الموارد المستثمرة عن الوفاء بالاحتياجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع فى مصر ، ولكن فى التناقضات والفروق الهائلة على الصعيد العالمى ، وفى مجموعة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى سيطرت على العالم وقسمته الى شعوب غنية غاية فى الغنى او متقدمة غاية فى التقدم ، وشعوب فقيرة غاية الفقر أو متخلفة غاية التخلف ، ويضيف الى ذلك قوله : «ان الثورية فى هذه الظروف المحلية والعالمية مرادفة للبقاء بالنسبة لجماهير الشعب ، والتطور الهادىء البطىء ليس من شأنه على المدى القريب أو البعيد وتحت وطأة الدوافع والضغوط المختلفة الا أن يزيد الفقراء الضعفاء فقرا وضعفا ، والأغنياء الأقوياء ثراء وسيطرة» .

ويمضى المقال موضحا أن عنصر الايمان فى الاشتراكية العربية عنصر جوهرى وأنه ميزة لها على الفلسفات المادية التى رفضت الاهتداء بنوره

ومن هنا أشار الأستاذ «يحيى أبو بكر» الى ما صرح به الرئيس جمال عبد الناصر فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى من أن «اشتراكيتنا ليست مادية ملحدة وليست مادية ولا روحية ، وهى ايضا ليست روحية فقط بمعنى روحانية ، ولكنها اشتراكية روحية مادية معا ، وهو فارق جوهرى بينها وبين الشيوعية» .

● دوافع التطبيق الاشتراكى

وكتب الدكتور «ياسين خليل» فى مجلة «الأقلام» العراقية بحثا عن «دوافع التطبيق الاشتراكى» فوضح أن الاشتراكية العربية مادامت تنبع من واقع الأمة العربية وتراثها الاسلامى وأهدافها القومية ، فاننا نضع نصب أعيننا الاختلافات الواضحة بينها وبين الاشتراكيات الأخرى .

ويرى الباحث ضرورة اتصال الفكر القومى الاشتراكى العربى المعاصر بالفكر العربى الاسلامى، ثم يعلن «أن أى اختلاف يقع بين الفكرين من شأنه أن يقود الأمة العربية الى الانزلاق فى فكر شعوبى يهدف للقضاء على العروبة والاسلام» مما يؤدى الى فقدان الأمة العربية مقوماتها الحضارية والثقافية ، فضلا عن وقوع الشعب العربى فى أزمة فكرية وحضارية تظهر فيها متناقضات واختلافات تعرقل سير التطور فى مجتمعنا العربى .

ويقف الباحث عند الحضارة العربية فيبرز مزاياها ويؤكد أنها حضارة متكاملة تجسدت فيها المثل والقيم العربية والاسلامية ، وتجلت فيها النزعة الانسانية بكل مظاهرها ، على أن امتزاج المادة والروح فيها جعلها موافقة لطبيعة الانسان ، ونابعة منه ، وأنها فى الوقت نفسه تربط الانسان العربى بأخيه العربى ، كما تربط العربى بغير العربى برباط من الأخوة والمساواة والعدل .

● الجذور التاريخية للاشتراكية العربية

ونشرت مجلة « الآداب » اللبنانية نص المحاضرة التى القاها الدكتور عبد العزيز الدورى فى مؤتمر الأدباء العرب بالعراق واستهلها بقوله :

ان المجتمع العربى يمر الآن بثورة شاملة تهدف الى تحقيق حريته ، وضمان وحدته ، واطلاق امكانياته ، وبناء مجتمع تسوده العدالة ويعمه الرخاء.

واذا كان للفكر دوره الكبير في التوعية والتمهيد لهذه الثورة فانه لا بد أن يكون له كذلك دوره الأساسى فى البناء ، وأن ينبثق من التراث والواقع ، ويتفاعل معهما باستمرار ، ويعلن الدكتور « الدورى» أن محتوى الثورة العربية فى الحقل الاجتماعى الاقتصادى يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وهذا المحتوى يتمثل فى الاشتراكية العربية ، لأنها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع فى المجتمع العربى الجديد .

وينتقل المقال موضحا أن المجتمع العربى قد تعرض من جديد ـ مع التجزئة القائمة ـ الى أقسى أنواع التحديات الغربية فى كارثة فلسطين .. لقد تجلت فى هذه الكارثة طاقة الأمة العربية ووجودها ودفعت بها فى طريق الكفاح الجديد طريق الثورة العربية .

ويختم الدكتور الدورى بحثه القيم بقوله :

« ان العدالة الاجتماعية التى ننشد تتمثل فى الاشتراكية العربية ، وهى حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية ، فى تفاعلها الايجابى مع واقعنا، وفى سبيل المجتمع الجديد الذى نريد مستفيدة فى تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمى » .

● صدى « الرسالة » فى العالم العربى

لقد كانت (الرسالة) منذ نشأتها حتى اليوم هى المجلة المتفردة التى تبنت قضايا الاسلام والعروبة، وقد سارت فى طريقها الذى عرفت به منذ وجودها تحمل على عاتقها فيما حملت مسئولية الدفاع عن القضايا الهامة فى مجتمعنا ، ووقفت فى وجوه من يأكل قلبهم الحقد ضغنا على الاسلام والعروبة، وعبت تكشف عن نيات هؤلاء ، وتفضح زيفهم ومايستترون وراءه من الأفكار الجاهزة التى يريدون بواسطتها ان يهدموا كياننا ويمحوا شخصيتنا .

وكان للرسالة بفضل هذا الخط الذى التزمت نفسها به شهرة واسعة ، حتى صارت تفضل الكثير من المجلات التى تصدر فى عالمنا العربى .

ولقد سبق أن بينا ما كتبته مجلة « الاقلام » العراقية التى أشارت الى أن مجلة الرسالة هاجمت بعنف شعراء (الرفض) الذين اصطنعوا رموزا في الشعر الحديث عبروا بواسطتها عن قيم لا تمت الى مجتمعنا ومثلنا وديننا بأى صلة .

ومما يؤكد هذه الشهرة أيضا ما جاء فى خطاب من السودان أرسله الشاعر سعد دعبيس يقول فيه ان جريدة (الرأى العام) نشرت مقالا للأستاذ محمد الأمين دياب أشاد فيه بالدور الذى قامت به الرسالة فى رد هجمات الشعوبيين على الثقافة العربية على أننا لو تصفحنا العدد الثانى من مجلة « الرواد » التى تصدر فى ليبيا عن وزارة الارشاد والأنباء لوجدنا فيها مقالا كتبه « على فهمى خشيم » أشار فيه الى معارك الرسالة وما ينشر على صفحاتها من المقالات التى يرد بها الاستاذ محمود شاكر ، على د. لويس عوض وما نشرته كذلك من تصحيح الاستاذ عبده بدوى لبيت أبى العلاء القائل :

صليت حمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص « بالصليان »

فكلمة « بالصليان » جعلها الدكتور ـ لغرض فى نفسه ـ « بالصلبان » ويقول المقال ان الدكتور ادعى فى العدد التالى من ملحق الأهرام أن الذى صحح له البيت هو الشاعر صلاح عبد الصبور ، دون أن يشير الى « عبده بدوى » الذى صحح له البيت فى مقال كتبه فى الرسالة .

هذه صورة سريعة عما يكتب عن الرسالة ولا شك فى أن هذا يدل دلالة قاطعة على مدى اهتمام القراء بها وعلى تتبعهم لكل ما تثيره من المعارك الفكرية المتعددة .

« محمد العوانى »

ولد خام

قصة بقلم محمد الشناوي



كان « بدوي » سعيدا .. وله في الحق عذر ... فقد جاءته الفرصة النادرة التي طال شوقه لها ، ورغم أن « فتحي » لم تتوقف في مواجهته سوى بضع ثوان ألقت اليه خلالها بالنظرة التي شابتها أن كل شيء يسير على ما يرام ، طبقا لاتفاقهما في الليلة الماضية .. في حزنها ، خالتي سالين ، ووراءها ، تتقدمه معا في الزحام الذي لاكى هذه الاقدمين منذ الصباح الباكر ... الا انه شعر بالراحة تسري من القلب التي عذبه القلق والشك ووساوس الانتظار ساعات طوالا ... الى جسده كله ، فتطلع عليه رزانة الشعور بالاستقرار والأمان بضع لحظات ، أحس بعدها بأنه يجب أن يصنع شيئا في فترة غيابها ، فهو لن يستطيع الوقوف .. بالباب هكذا .. بلا نهاية ، واذا كان قد اقام في مرابطة عشي ... الجاويش ذي الشوارب المفتولة التي تلف عليها الصقر ..؟ طوال هذا الوقت ، انتظارا لوصول فتحي عامدا الى التحرك خارج الباب قليلا مع الخارجين أو التراجع الى داخل السوق قليلا أيضا .. مع الداخلين ، بحيث لا تبتعد عيناه أبدا عن الفتحة الواسعة ، التي ابتلعت منذ الصباح بضعة آلاف من الوافدين الى السوق الأزدحم في هذا الموسم ، فانه لن يستطيع الوقوف الى ما شاء الله ، وقد تسول للجاويش نفسه أن يتحرش به محتجا بوقفة بدوي التي تثير الشبهات في أنه ولد ملعب ... ؟ .. ولكن هل من ، كما سمعه يقول أكثر من مرة ، لأكثر من واحد لم يفلتوا من بين يديه الا بعد أن قدم كل منهم للجاويش ، القرش ، ما يثبت انه ولد ملعب !

لم ما حاجة بدوي للوقوف بالباب وقد اطمأن الى وصول فتحي ؟ ... الحكاية لن تستغرق ساعة أو بعض الساعة وينتهي الأمر ، وتبيع خالتي سالين كيلة العلبة التي حملتها فتحي على رأسها في القطار من البلد ، حيث حضرنا سائرين على الاقدام مثله في الطريق الزراعي المزدحم ، وخصوصا في الموسم بالذاهبين الى السوق ، صباح الخير يا ولاد يا ابراهيم ، صباح الفل يا خالتي سالين أو يا ام علي أو يا بنت بازتونة وكلمة تجر كلمة ، ويحلو الحديث ... وتنقضي المشوار بسلام ، وكثر الله الذاهبين الى السوق لم انتظار سيارة الشركة التي تكون في مثل هذه الساعات مزدحمة من أول الخط وتطاهر أيضا لم تحكم ، لم حسنين ، سائق السيارة الأجرة العجوز .. التي تعمل على الخط منذ زمان بعيد (مايوعاش عليه) بدوي ..؟

يا خبر يا بدوي .. أتضحك من غير سبب قلة أدب .... ماذا يقول الناس عنك وهم يرونك تضحك بلا سبب ...؟ هيا تحرك الى الداخل ، قبل أن يتجمع الناس للفرجة عليك ، وحتى لو قلت لهم السبب الذي ضحكت من أجله ، فلن يهتموا بك..

بل لن يلتمسوا لك عذرا في هذا الهلس .. ! (كان منظره يموت من الضحك) وهو يحاول ان يضع الجدى في الشنطة، ونار الجدى على هذا السجن القريب ، ولم يستسلم لمحاولات عم حسنين وهو مصر على تكتيفه في الشنطة . وعمد الجدى الخبيث الى حيلة ماكرة .. جعلت السائق العجوز يسبك ويلعنك يا بدوى انت وجديك .. و « العبز وابو العبز » فقد اخرج الجدى لسانه الدافئ في هذا الصباح البارد ... واخذ يلعق به وجه عم حسنين وصرخ الرجل وافلتت يداه قدمى الجدى الشاقب .. ! الذى عاجل الرجل برفسة حادة من قدميه الى بطنه ، اوقعت العجوز المنهك على الارض ، بينما انطلق «العفريت» ساقيه للريح... وكنت محظوظا يا بدوى اذ اتجه الجدى الهارب عفوا او ربما استجابة مقصودة لنظرات معزة صغيرة .. ! كان صاحبها يحملها امامه على حمارة الى السوق ... وهكذا عوض الجدى في محاولته اللحاق بالمعزة المحمولة على ظهر الحمار (الذى يسبق الريح) الوقت الذى ضاع منك في محاولة حبسه في سيارة عم حسنين لكى تصل سريعا ، قبلها ... حتى لاتضيع الموعد الذى فزت به بصعوبة ، وبعد محاولات ومحاولات لاستمالة البنت الحلوة ذات الوجه الحلو .

فعلا يا بدوى البنت وجهها حلو عليك .. فمنذ قابلتها ليلة الأمس وهى عائدة من دكان متولى بعد ان اشترت لابيها الشاى والسكر والعسل ، ومنذ اعطتك العهد بان تقابلك في السوق ، بعد ان تبيع امها كيلة الحلبة التى اخفتها للزمن خالتى سالمين الواعية من ايراد الجمل الذى يحمل على ظهره الى جانب قمح البلد وارزها ومحصوله كله ، ثقل العائلة التى لا مصدر لرزقها سواه .. ومنذ السمت لك برحمة اخوتها الذين ماتوا جميعا ، فلم يبق منهم ذرية خالتى سالمين .. وزوجها عمى ابراهيم الجمال سوى الحلوة ذات الوجه الحلو ـ بانها ستنتهز فرصة جلوس امها بجوار سوق الوانى في مقهى المعلم بندق الذى اشتهر في المنطقة كلها بانه اعظم من يصنع البوظة ويقدمها لزبائنه من الفلاحين ـ ستنتهز الفرصة وتترك الأم تنعم بتناول البوظة التى تحبها ، والتى تخلق الأسباب للذهاب الى السوق من اجلها .. ثم تاتى لتقابلك في سوق الغيط بشرط الا يطول غيابها عن خالتى سالمين الواعية التى تشك في نفسها وتغار على البنت من ثوبها الذى فوق بدنها ، منذ اخذت منها الوعد ، و « الخير نازل عليك » يا بدوى .. ! فيبدأ الخير بموافقة امك على بيع الجدى في السوق بعد طول معارضة في مرات سابقة ..!

صحيح ان الجدى جديك وصحيح انك اشتريته بدم قلبك وانك وفرت ثمنه بالعافية ... قرش من هنا وقرش من هناك مرة تسهر طول الليل في تقطيع الحطب عند اولاد الشهيدى رغم عملك نهارا مع الانفار في ضم الارز عند من يملكون ارضا يزرعونها ارزا ... ومرة تعمل خفيرا لليلة او ليلتين ، فيحراسة اكياس القطن التى يشتريها « الافندى » من الفلاحين ، ويكومها عند دكان الحاج انتظارا لمجيء قطار الدلتا ليشحنها الى المنصورة، حيث يسلمها للبنك وياخذ بدلا منها حزمة ضخمة من الاوراق الحمراء التى تحلم بواحدة منها فقط تطير بها الى بيت عمى ابراهيم لكى يجهز البنت الحلوة ... وصـــحيح يابدوى انك عملت المستحيل لكى تضع القرش على القرش ليكون لك في النهاية «جدى» تربيه وتكسب من ورائه ، فحرمت نفسك من كل المتع التى يقبل عليها رفاقك في العمل ، فلم تعرف قهوة دار الشيخ احمد كما يعرفون ، ولم تجد منها مقعدا كما يعودون ، ولم تمتد يدك الى دكان الحاج لتاخذ من ثلاثته صندوق العسل واوقية الشاى كما ياخذون ... كل هذا صحيح واكثر منه وتسيحا انك ذات البر ، في ثواني « العلف » للجدى الاول ، وانك قاسيت الكثير من « اصحاب الارض » الذين كنت تتسلل عندهم ، متنقلا من حقل الى حقل « حسب التساهيل » ، لانك كنت تصر دائما على سحب الجدى لكى ياكل على المصارف ، ولكن الشاى لم يكن مؤدبا دائما .. ! ولم تكن عينه ملأى دائما ، فكان « يزوغ » على الزرع الذى تعب اصحابه في تربيته ، وكنت انت ايضا تتعب في استرضائهم ، حتى لا يذهبوا بك وبجديك العفريت الى دوار العمدة لأنك تعلم جيدا انك لا تملك ثمن رضاء العمدة ، وليس في جيبك التكاليف التى تخفف من ثورة « حضرة العمدة » وتعيد الى نفسه الاطمئنان على الامن والنظام ..!

وكانت امك تعلم كل هذا ، ولكنها كانت ترفض دائما بيع الجدى ويشتد رفضها اكثر واكثر ، كلما حضر « ابو حسين » ليجلس جلسته التى لا تتغير كل ليلة بجوارها وعيناه على « اختك عوالم » وهى تتحرك في الدار ذاهبة وآيبة في همة ونشاط يؤكدان للعريس انه كان موفقا في اختياره ، وانه لم يكن مخطئا عندما قرأ الفاتحة مع خالته زينب امك ، لان البنت خفيفة وعينها على الحاجة وقلبها على العيشة وتطول «القعدة» ، ويحلو السهر ويجر بعض الكلام بعضه وتعيد امك تاكيدها لأبو حسين بان المسالة قربت « اجر شوية يا بنى » ويصبر ابو حسين ، ويخرج تاركا « خالته زينب » تستعرض ما اعدته من جهاز العروسة بالمهر المتواضع الذى « قدر عليه الجدع » ثم تقع عينها المؤملة على الجدى في حساب صامت ... للثمن المنتظر ، وهل يفى بشراء ما تبقى من جهاز العروسة ام انه يتحتم على «ابو حسين» ان يتحامل على نفسه و « يصبر شوية » اخرى ، حتى يسمن الجدى ويفى ثمنه بالمطلوب ..! ومن هنا كانت تعارض في بيع الجدى قبل الأوان ، لا لانها كانت تخشى ان يستولى بدوى على ثمنه او حتى يفكر مجرد تفكير ، في اقتطاع جزء من هذا الثمن لنفسه يقضى به بعض مطالبه ، فهى تعلم قبل غيرها من اهل البلد ان بدوى ابن حلال ويحب اخته اكثر من عينيه ..! بل يحب اخوته جميعا ، عوالم المخطوبة ... وامنة التى ما زالت تحت بلوغ ... وحسن الطيب المسالم ، و « آخر العنقود » عبد الغنى ، الذى يتمرد دائما على قيود الفقر التى تمنع الأسرة من تلبية طلباته التى اعتاد تلبيتها ايام ابيه ... ولكن الأم كانت ترفض بيع الجدى العزيز املا في زيادة ترجوها في ثمنه لكى يفى بحاجة العروس ، التى طالت خطبتها بما حرك الستة البعض بالكلام ... والناس لا تترك بعضها انما وافقت الأم مرغمة على البيع ... حتى « تجهز البنت » وتنقطع الالسنة ، وكانت موافقتها اول خير اصابه بدوى ، بعد ان رضيت عنه البنت الحلوة ذات الوجه الحلو ولم يكذب بدوى الخبر .. ! وحمل الجدى.. الى المعلم عبد الله الجزار وتحسست اليد الخبيرة جسد الجدى المكتنز باللحم ، نتيجة لعناية بدوى وامه والاخوة جميعا وخصوصا العروس المنتظرة .

ثم ارتفعت يد « المعلم » في اناة ماكرة ، و « برمت الشوارب

الطويلة . وصمت لحظة كادت تحطم اعصاب بدوى قلقا .. رغم انها لم تطل ... ثم قال كلمته ..

ـ خمسة ...

ـ يفتح الله يا عم ... !

ـ طيب ... نقول ... وربع .

ـ ولا ستة .. الا تراه جيدا .. انه جدى .. وليس قطة .. !

وحمل الجدى على كتفيه فى سرعة غاضبة ، لم يتوقف معها، حتى عندما ناداه المعلم عبد الله وهو يجتاز عتبة الدار الى الشارع المظلم ، الذى لم تقو الاشعة المتسللة على استحياء من ابواب البيوت التى لم تغلق بعد ، على تخفيف حدة الظلام فيه .. !

ـ اقول لك .. كلمة واحدة .. ستة يا بدوى .

اللص .. ! كان يريد ان يسرقنى علنا .. تصور يا بدوى انك كنت مستعدا ان تبيعه له بسبعة جنيهات ، لو انه عرض عليك هذا الثمن ، لكى تشترى لهوانم . الطشت النحاس والحلق الذهب والثوب الحريرى الاحمر .. ؟ الذى كان تمنيها فيه ، ليلة الدخلة ، وبعد هذا سيبقى معك جنيه كامل ... ! ،جنيه اخضر يا ولد ، تشترى منه جورب ، لم الهوانم ، لاختك امنه ، ومنديل راس ، لامك لم يتبقى معك ما يكفى لشراء ، محفظة بثلاثة ازرار ، لحسن ، و ، حلوى شعر البنات ، للعفريت الشقى ... عبد الغنى ، وهذا طبعا لن يذهب بالجنيه كله ، ومن لم تستطيع ان تفى بوعدك للبنت الحلوة فتقابلها فى سوق الخيط لكى تشترى لها ... ماذا يابدوى .. ؟ لقد سمعتها مرة تقول ـ عفوا طبعا وبلا قصد ـ انها تشتهى ان تجرب ،ريحة الحبايب، التى تستعملها دائما الست عطيات الخياطة وسيكون باستطاعتك بباقى الجنيه ان تحقق للبنت الحلوة المؤدبة .. ! التى لا تطلب شيئا بنفسها من الشبان .. ! هذه الرغبة ، وستكون زجاجة ريحة الحبايب التى تشتريها لها ، بداية للحلم الذى عشت تتمناه طويلا ، بان تصبح ، ضحى ، عروسا لك .. تقرا الفاتحة مع ابيها وتطرد من حولها العيون الجائعة وتعرف ،البلد، كلها انك عريسها ، فيكف الشبان عن مغازلتها ، و ،تشد حيلك، وتحضر المهر ، وتزف اليها ، وتعيشان معا فى ثبات ونبات ، وتخلفان صبيان وبنات ... تصور يا بدوى ان هذا كله ، كان سيتحقق بسبعة جنيهات ، لو ان المعلم عبد الله دفعها لك ، وكنت ستبيع الجدى بهذا المبلغ سعيدا راضيا ... ولكن البنت وجهها حلو .. والله العظيم ، وجهها كله خير ، لقد رفضت ان تبيع الجدى فى البلد لانك تعلم ان المعلم عبد الله وكل الجزارين فى الكفر يعيشون المغالطة .. ! ولا يكفيهم الرزق الحلال ، فيسرقون امثالك .. ! كلهم لصوص يا بدوى ، ولكن البنت وجهها كله خير وانت ايضا مفتح ! ولم تعطهم الفرصة لكى يضحكوا عليك . !

يا فرحتك يا امى .. ثمان ورقات خضر ..! ثمانية جنيهات كاملة ، قبضتها بيدك من ذلك الجزار ، الذى اشترى الجدى ليذبحه فى السوق .. ثمانية جنيهات يا بدوى ستحضر المطلوب وزيادة .. الطشت والحلق والثوب الاحمر للعروس المنتظرة .. ، ستفرح والله ... يتيمة مسكينة ، ليس لها احد غيرك يا بدوى ... ربنا يرزقك برزقها .. ! لكن ، ضحى ، وجهها كله خير .. ! .. ساشترى المطلوب كله .. حتى طلبات الاولاد ... و ، ريحة الحبايب ، وسيبقى معى جنيه آخر ... والله فكرة .. ! لماذا لا تشترى لحمة الوسم من هنا يا بدوى .. ؟

هل نسيت الجزارين فى ، الكفر ، وجشعهم .. ؟ .. ان الذى يشترى منك الجدى باقل من ثمنه ، سيبيعك اللحم ـ بلا شك ـ باكثر واكثر .. ! .. توكل على الله ، واشتر لاخوتك لحمة الوسم من السوق ، ويوم من يوم قريب .. ! .. وامك بارعة فى كل شئ ..! ولن تعجز عن الاحتفاظ باللحم بطريقة ما يوما واحدا ، مهلا يا بدوى ... كم ستشترى ؟ كيلوا واحد يكفى .. ؟ .. يا رجل .. ؟ .. انه يوم موسم ..! وسع على اخوتك لكى يوسعها الله عليك .. اثنين كيلو ونصف .. ولا هذا يكفى ، انسيت شقاوة عبد الغنى ، انه لن يرى اللحم حتى يسيل لعابه ، ويصرخ مصمما على ان ، تحمر ، له امه قطعة يأكلها فى رغيف ، والام لا ترفض طلبا لاخر العنقود .. ! وقطعة لعبد الغنى ، تتبعها قطعة لحسن ، واخرى لك يا بدوى ـ فامك يدها فى فمك دائما ، وعلى قدر استطاعتها ـ لانك رجل البيت ، ومن يبقى بعد هذا .. ؟! امك التى تخرج اللقمة من فمها لاولادها .. ؟ .. والبنتان .. هوانم وامنة ؟! ... هل ترضى بهذا .. ؟!

تاكل انت ونحن لا ياكلن .. ؟ .. عيب يا بدوى .. ضع فى عينك حصوة ملح .. كيلو ونصف لن يكفى .. سيضيع نصف كيلو الليلة ـ على الاقل ـ توكل على الله .. ! لا تتردد فموعد ، البنت الحلوة ، قد اقترب ، ولعلها الان فى انتظارك ، بسوق الخيط ، وانت واقف هنا ياكلك التردد ... ما هذا يا بدوى ؟ لقد ضيعت وقتا طويلا فى شراء ، لحمة الوسم ، فكم يكفيك من الوقت لكى تشترى طلبات العروس ، وطلبات اخوتك و .. ، ريحة الحبايب ، ؟! الم تثر فى امك ـ ربما لاول مرة ـ لانها طلبت ان تحضر معك للسوق لكى تشترى الطلبات بنفسها؟ الم تصرخ فيها بانك لم تعد صغيرا وانك صرت رجلا يستطيع ان يقوم ـ وحده ـ بالبيع والشراء . ، كالمرحوم ، وزيادة ... !

هيا يا بدوى .. تحرك .. فالعيون تحاصرك ، والجزار تبرم بصمتك ، وترددك يكاد يشى بانك ، ولد خام ، تاتى الى السوق لاول مرة .. قل شيئا .. يفتح الله عليك ..

ـ كيلو ونصف مشفى ! لا لا .. اثنان مشفى .. ،سمين، وحياتك .. واحس بان العيون المحدقة به تعريه ، بل تحرقه ، واحس بالقلق يمزقه خوفا من ان تذهب ، البنت الحلوة ، الى سوق الخيط فلا تجده ، فتعود غاضبة عليه ، ويضيع كل شئ ، ولا يعود هنالك معنى لمجيئه الى السوق لكى يشترى جهاز العروسة و .. ، ريحة الحبايب ، . واسرع يخرج النقود من جيبه حيث وضعها فيه منذ باع الجدى ... وطالت غيبة اليد المرتعشة فى الجيب ، واخذ العرق يتساقط ، لا من وجهه فحسب بل من جسده كله ، واخذت الصفرة تكسو الوجه الطيب ... مستحيل ان يحدث هذا .. ؟ ولكنه حدث ..!

وارتاب الجزار من وقفة الفتى القروى التى طالت امامه بلا معنى ... فهو لا يشترى ولا يذهب لحاله ... ولم تطل ريبة المعلم فقد قطعها بدوى بصوت متخاذل ..

ـ لا يا معلم .. لا اريد لحما .

وصرخ المعلم وهو يلوح فى وجه بدوى بساطوره الملوث بالدم ..

ـ اكنت تعبث بى يا ولد ..؟

وخرجت من شفتيه المرتعشين كلمات متكمشة كانها بللتها دموع الغيظ والكمد التى تزاحمت فى عينيه .

ـ لا يا معلم والله ... لم اكن اعبث .. ولكن .. نقودى ضاعت .. نشلها ابن حرام . ؟

محمد الشناوى

مع فنان

تقديم

اميل جرجس

اذا رأيتها تجد نفسك أمام انسانة رقيقة تحمل قلبا نقيا بين جنبيها .. وديعة كالحمل ـ معتدة بنفسها الى حد كبير .

لا ترى منها ذلك الغرور الأجوف بل ترى فيها امتدادا من علم وفن ومعرفة .

ولقد عشت لحظات وأنا غارق في تأملاتي . أمام أعمالها الكثيرة المليئة بالاحساس والقدرة . فأحسست بأن كل أعمالها . صلوات في عالم الخيال .. وأفكار وأحاسيس متقدة تنقلك الى مخيلتك بدون ألفاظ .

فالفنانة جاذبية سرى شغوفة بالتصوير المشخص وتستوحى موضوعاتها من البيئة والواقع الذى تحياه وتحس به .

ولقد مرت هذه الفنانة بثلاث مراحل مختلفة الاولى من ١٩٥٠ : ١٩٥٥ ، والثانية من ١٩٥٦ ، ١٩٥٩ بفترة التفرغ والثالثة ١٩٦٠ الى وقتنا هذا . ولكنك اذا تتبعتها ، تحس بأنها تقدم لك أحداثا هامة تعيشها وتخوض غمارها بنفسها فتقدمها لك متكاملة وقوية .

فأم عنتر وأم رتيبة وكوبرى امبابة والنيل . كل هذه موضوعات فرضتها عليها البيئة التى تعيش فيها وتتفاعل معها وتتأثر بها .

ان كل عمل من أعمالها يجذبك اليه لتتأمله فتشعر بأنه ليس غريبا عنك لأنه عمل مرتبط بواقعنا ومجتمعنا .

وقد استوحت الوان وجوهها .. من طمى النيل الدافىء السخى ...ومن مياهه السمراء المتدفقة ... فتحس بمدى احترامها للرائى أو المشاهد . اهتمامها بمزج العلاقات الجمالية بالواقع ... كما انها مغرمة بالطولة وأفراحها وأتراحها .

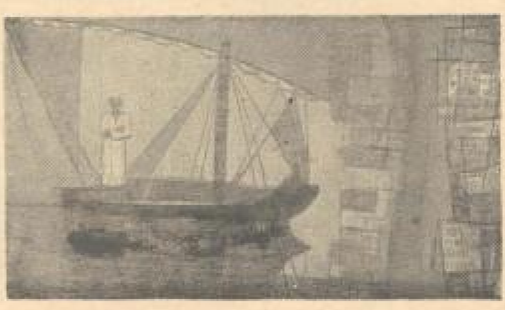
فلو تأملت اللاجئات ... لشعرت فيها بالمأساة التى تكمن خلال تلك الوجوه السمراء المستديرة والوجنات التى جعدتها الحياة فملأتها جفافا مريرا ... تحس بمأساة الطفولة التى تحلم بالدفء وبالعودة وطرف الحنين الى الارض الطيبة .

وبعد ... هذه هى الفنانة جاذبية سرى التى تشهد الاسكندرية أعمالها خلال هذا الاسبوع .



« جاذبية سرى »

- تخرجت من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وحصلت على اجازة التصوير من المعهد العالى لمعلمات الفنون الجميلة .
- قامت بدراسات فى باريس وايطاليا
- حصلت على دبلوم فى فن التصوير الزيتى من كلية سليد بجامعة لندن
- حصلت مرتين على جائزة روما للتصوير من ايطاليا
- حصلت على جائزة شرفية من البندقية فى التصوير عام ١٩٥٦
- حصلت على جائزة شرفية بمسابقة الانتاج الفنى عام ١٩٥٧ فى التصوير
- حصلت على جائزة ثالثة فى الحفر عن قسم الجمهورية العربية المتحدة فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٥٩
- حصلت على جائزة اولى فى فن التصوير بمعرض صالون القاهرة لجمعية محبى الفنون الجميلة عام ١٩٦٠
- حصلت على جائزة اولى فى التصوير فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٦٣
- حصلت على تفرغ الفنانين للدولة من وزارة الثقافة والارشاد القومى لمدة ثلاث سنوات متتابعة منذ ١٩٦٠
- اول مصرية حصلت على زمالة من مؤسسة هانتجتون هارتفورد بكاليفورنيا بالولايات المتحدة لمدة ستة شهور
- لها أعمال فى متاحف الفن الحديث بالقاهرة ـ ومتحف الناسترل ـ ومتحف الفنون الجميلة ـ ومتحف ايناسفيل بولاية انديانا بالولايات المتحدة الامريكية
- لها اعمال خاصة ضمن مجموعات خاصة بالقاهرة ولندن وباريس واستوكهولم وبكين والولايات المتحدة ودمشق والجزائر



لوحة من أعمالها



العدد ٩١
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر